جماليات مراعاة المقال للمقام في البلاغة العربية

إعداد الباحث :

أحمد بن يحيى بن أحمد عسيري

جامعة الملك خالد

كلية العلوم الإنسانية – قسم اللغة العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، والصلاة والسلام على النبي الأمين ، أفصح العرب لسانا ، وأعلاهم بيانا ... أما بعد : –

فإن اللغة ظاهرة اجتماعية تخضع لضوابط وعوامل اجتماعية، منها علاقة المتكلم بالمستمع من حيث المكانة الاجتماعية، والجنس، والعرق، والعمر، والدين، ومدى الألفة والتضامن، فضلاً عن طبيعة موضوع الحديث، وما إذا كان الموقف رسميًّا أو غير رسمي، والقيم الاجتماعية ونوع الخطاب ، ولقد تناول النقد الأدبي على مر العصور قضية مطابقة المقال للمقام ، واهتم بها ، بل أشار إلى ذلك علي بن أبي طالب ﷺ بقوله : ((حَدِّثُوا النَّاسَ بِمَا يَعْرِفُونَ أَتُحِبُّونَ أَنْ يُكَذَّبَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ))(١)، وابن مسعود ﷺ بقوله : ((مَا أَنْتَ بِمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لاَ تَبْلُغُهُ عُقُولُهُمْ إِلاَّ كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةً)) (٢) ؛ فمراعاة المقام معين على فهم الكلام ، وانطلاقا من أهمية العلاقة بين المقام والمقال كان هذا البحث تحت عنوان (جماليات مراعاة المقال للمقام في البلاغة العربية) .

وقد جعلته في ستة مباحث هي :

---

(١) العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار الفكر ، بيروت ، ط . ١ ١٩٩٣ م ١٤١٤ هـ ١ / ٣٠٤

(٢) النووي (يحيى بن شرف) شرح صحيح مسلم ، دار القلم بيروت ، ط . ٣ ، ١ / ١٩١

المبحث الأول : تعريف المقال .

المبحث الثاني : تعريف المقام .

المبحث الثالث : عنصرا المقام .

المبحث الرابع : نوعا السياق .

المبحث الخامس : مراعاة المقام في كل مستويات اللغة .

المبحث السادس : نماذج من مراعاة المقال للمقام .

وهذا عمل بشري لا أدعي فيه الكمال ، ولا أبرئه من النقص والخطأ ، ولكن ما كان فيه من صواب فذلك بفضل الله وتوفيقه ، وما كان من خلل وخطأ فمن نفسي والشيطان ، والله ورسوله منه بريئان ، والله أسأل أن يهديني للصواب ، والله أعلم وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

الباحـــث

المبحث الأول

تعريف المقال

لغة : القَوْلُ : الكَلامُ ، أو كُلُّ لَفْظٍ مَذَلَ به اللِسانُ تامًّا أو ناقِصًا ... والقَوْلُ في الخَيْرِ ، والقالُ والقيلُ والقالَةُ في الشَّرِّ ، أو القَوْلُ مَصْدَرٌ ، والقيلُ والقالُ اسْمانِ له ، أَو قالَ قَوْلاً وقيلاً وقَوْلَةً ومَقَالَةً ومَقالاً(١).

والقَوْل : الكلام على الترتيب وهو عند المحقِّق كل لفظ قال به اللسان تامًّا كان أَو ناقصًا ، تقول : قال يقول قولاً ، والفاعل قائل ، والمفعول مَقُول ، قال سيبويه : واعلم أَن قلت في كلام العرب إنما وقعت على أَن تحكي بها ما كان كلاماً لا قَوْلاً ، يعني بالكلام الجُمَل ... الجمع أَقْوال ، وأَقاوِيل جمع الجمع[٢].

اصطلاحًا :

يمكن القول : إنّ الأصل في المقال أنه عبارة عن موضع جريان أقوال البشر وأفعالهم ؛ باعتبار أنّ أقوال القائلين وأفعالهم إنما تجري في مجاري مقالاتهم وأفعالهم ومعتقداتهم وتصوّراتهم ؛ بوصفها مجاري لأقوال الخير، أو لأقوال الشرّ ، أو باعتبار أنّ مقالات القائلين هي التي توجه إرادتهم في

---

(١) الفيروز أبادي (محمد بن يعقوب) القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط ٨ ، ٢٠٠٥ م ص ١٠٥١ مادة قول .

(٢) ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم) لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ١١ / ٥٧٢ ، مادة قول .

القول وفي الفعل ، أو لنقل : إنها هي التي تصوغ أقوالهم ، وتوجّه إرادتهم وفعالهم .

وهذا يقتضي أن المقال (في أصل نشأته) عبارة عن قولٍ مركّب من عدّة أقوال (معتبرة) ؛ تتمحور حول موضوع ما واحد محدّدٍ ، وتسهم في تشكيل ملامح صورته / هويته ، أو لنقل : إنه قول مركب من عدة أقوال (معتبرة) يجمع بينها أنها تدور ، في جملتها ، حول موضوع ما واحد ، أو حول قضيّة ما واحدةٍ ، وتشكل – في جملتها – نسقا فكريا أو إيديولوجيا واحدا ، ما يفتأ يفرض شروط تكلمه باستمرار – فهو (المقال) ما يجري فيه القول ، ويندفع باتجاهه .

إنه ما ينتظم أقوال القائلين وينظمها ، أو ينظم سيرورتها ، ما يحدد اتجاهاتها وعلاقتها . وهذا يقتضي أنه ما يصوغ وعي القائلين ، ويحدد مسارات أقوالهم وأفعالهم ، إنه عبارة عن موجهات الأقوال والأفعال ومؤطّراتها.

لذلك جاء في تعريفنا للقول : أنه عبارة عن الملفوظ المعتبر عن موقف المتلفظ ، أو عن مقاله أي عن مذهبه أو إيديولوجيته أو رؤيته للعالم ، وينتظم في سلك المقال ، أو القالة ، ما يعني أنه (القول) عبارة عن ملفوظ المقال ، لا القائل ذاته.

والأقوال المقولة : المردّدة المعادة ، والمصوغة بإحكام حول شيء ما، أو التي تقول أو تظهر ، أو ترسخ صورة شيء ما محدد ، هي أقوال تقول في جملتها مقالة ذلك الشيء (ترسم لنا ملامح صورته التي يجب علينا وضعها في الاعتبار ، عندما نتحدث عنه ، أو نصف ماهيته) أو لنقل : إنها أقوال تسهم في تشكيل مقالة ذلك الشيء المعبرة عن هويته ؛

باعتبار أنها قد صارت في الجملة ، تقول لنا ما يجب علينا أن نعتقده ، أو نتصوره عن ذلك الشيء ، لتقول لنا من ثم ماذا يجب علينا أن نقول عن ذلك الشيء ، وكيف نقول؟

وهذا يقتضي أن الأقوال ترتبط بالمقالات ارتباط فرع بأصل ، جزء بكل، أو ارتباط صفة بموصوف ، عرض بجوهر ، وجود بموجود ؛فهي علاقة تلازمية ، وضرورية في آنٍ معا . لذلك فالمقالات تعدّ بؤَرَ الأقوال والأفعال ومجاريها ، عنها تنتج ، وفي مساراتها تجري ، وبسمتِها تدمغ ، وعلى رسمها تتحقق.

لذلك فإن ما يميز المقال عن القول ، فضلا عما سبق ، أن المقال عبارة عن نسق فكري مجرد يسكن عالم القائل ، ويبرمج وعيه ، ويوجه إرادته وسلوكه ، لذلك فهو ما نحيل عليه في القول ، أو هو عبارة عن خلاصة ما يقوله القول ، أو هو مجموعة الأقوال التي تتمحور لتصوغ ، أو لتعبر عن موقف ما موحد ، أو عن رؤية ما جاهزة ، أو عن تصور ما، أو اعتقاد ما ، فالمقال نسق مجرد من الأفكار والرؤى والتصورات . أما القول فتجسيد لذلك النسق المجرد ، أو تعبير عنه.

المقال بنية ذهنية مجردة ، تصوغها أو تعبر عنها مجموعة أقوالنا المتجانسة التي نقولها – كل بطريقته – في مقام ما ، حول شيء ما لتحقيق مقصد ما.

ومن هنا يرتبط القول – على الأقل من حيث نشأته وصيرورته – بالقائل المفرد ، أي بوصفه التحقق الفردي للمقال الذي يرتبط بجملة القائلين (الفئة الاجتماعية المتجانسة تفاعلا ورؤية وسلوكا) ويتحقق عبر إمكاناتهم الخاصة ، وهذا انطلاقاً من أن مفهوم القول في تقديرنا

يوازي مفهوم الكلام عند سوسير ، ومفهوم المقال يوازي مفهوم اللغة عند سوسير نفسه ، أي باعتبار أن القول فردي ، والمقال جمعي ، أو باعتبار أن القول هو التحقق الفردي للمقال ، أو بوصفه أحد تمظهرات المقال ، أو أحد تحققاته الممكنة ، أو لنقل : إنه أحد إمكاناته في التحقق ؛ لذلك يجب أن نلاحظ أن مرجع الكلام في القول (فيما قيل ويقال) ، ومرجع القول في المقال ، أما مرجع المقال ففي المقام (١).

---

(١) الحميري (عبد الواسع) في آفاق الكلام وتكلم النص ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط . ١ ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م ص ١٠٩ – ١١١ .

المبحث الثاني

تعريف المقام

لغة : وردت في اللغة عدة معان للمقام منها : (المقام موضع القدمين ، والمُقامُ والمُقامةُ الموضع الذي تُقيم فيه ، والمُقامة بالضم الإقامة ، والمَقامة بالفتح المجلس والجماعة من الناس ، وأما المَقامُ والمُقامُ فقد يكون كل واحد منهما بمعنى الإقامة ، وقد يكون بمعنى موضع القِيام ... وقوله تعالى : (**لَا مَقَامَ لَكُم**) أي لا موضع لكم ، وقرئ (**لَا مُقَامَ لَكُمْ**) بالضم أي لا إقامة لكم ، و(**حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا**) ، أي موضعاً ، وقول لبيد :

عفت الديار محلها فمقامها ... يعني الإقامة)[1].

معاني المقام في القرآن الكريم : للمقام في القرآن الكريم معانٍ عدة ، منها :

ما ذكره شقيق البلخي – رحمه الله – حين قال : (مقام على أربعة أوجه :

---

[1] الجوهري (إسماعيل بن حماد) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ت أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٩٠ م ، ٥ / ٢٠١٧ ، مادة قوم .

وابن منظور (محمد بن مكرم) لسان العرب ١٢ / ٤٩٨ ، مادة قوم .

الوجه الأول: مقام ، يعني: مساكن ، فذلك قوله في الشعراء : (فَأَخۡرَجۡنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٥٧ وَكُنُوزٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٥٨) ، يعني مساكن حسانا ، (كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٥٩)، وقال في الدخان : (كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ٢٥ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ٢٦) يعني ومساكن حسنانا ، (كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ٢٨) ، وقال فيها : (إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٖ ٥١) يعني في مساكن آمنين من الموت .

الوجه الثاني: مقام ، يعني الإقامة والمكث ، فذلك قوله في سورة يونس : (يَٰقَوۡمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيۡكُم مَّقَامِي) (٧١) ، يعني مكثي فيكم ، (فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡتُ) (٧١) ، وقال في الأحزاب : (يَٰٓأَهۡلَ يَثۡرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمۡ فَٱرۡجِعُواْۚ) (١٣)، يعني ليس لكم مكث في الْأحزاب ، يقول : لا تقومون لهم .

الوجه الثالث : المقام ، يعني القيام بين يدي الله عز وجل يوم القيامة ، فذلك قوله في الرحمن : (وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦) ، يعني القيام بين يدي الله عز وجل، فيترك شهوته من الحرام في الدنيا فله جنتان ، وقال في إبراهيم : (ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي ... ١٤) يعني القيام بين يدي الله عز وجل (وَخَافَ وَعِيدِ) (١٤) .

الوجه الرابع : المقام يعني المكان ،وذلك قوله في الصافات : (وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ١٦٤) يعني : إلا له مكان معلوم ، يعبد الله تعالى فيه، وهم الملائكة) [١] .

ومنها مقامات الأنبياء – عليهم الصلاة والسلام – :

أ – مقام سيدنا محمد – ﷺ – في قوله تعالى : (وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا٧٩) (الإسراء) .

(المقام المحمود هو المقام الذي يحمدك فيه الأولون والآخرون ، مقام الشفاعة العظمى[٢]، حين يتشفع الخلائق بآدم، ثم بنوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، وكلهم يعتذر ويتأخر عنها، حتى يستشفعوا بسيد ولد آدم ، ليرحمهم الله من هول الموقف وكربه ، فيشفع عند ربه فيشفعه، ويقيمه مقامًا يغبطه به الأولون والآخرون ، وتكون له المنة على جميع الخلق) [٣] .

---

(١)البلخي (مقاتل بن سليمان) الوجوه والنظائر في القرآن العظيم ، ت حاتم صالح الضامن ، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث ، دبي ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ – ٢٠٠٦ م ، ص ١٤١ – ١٤٢ .

(٢) حديث الشفاعة ورد بتمامه في البخاري (محمد بن إسماعيل) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، ت محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ، باب ذرية من حملنا مع نوح ، ٦ / ٨٤

(٣) السعدي (عبد الرحمن بن ناصر) ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط (٣)، ١٤١٨هـ – ١٩٩٨م ، ص ٤١٦ .

ب – مقام سيدنا إبراهيم – عليه الصلاة والسلام – في قوله تعالى : (وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ١٢٥) (البقرة) وقوله تعالى : (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ٩٦ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ٩٧) (آل عمران :) ، قيل : (الحرم كله ، وقيل الحجر الذي يقوم عليه ويناوله إسماعيل الحجارة)[١] ، وقيل : (الحج مقام إبراهيم ، وقيل :الحرم كله مقام إبراهيم)[٢] .

ج – مقام سيدنا سليمان – عليه الصلاة والسلام – في قوله تعالى: (قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ٣٩) (النمل) (قبل أن تقوم من مجلسك للحكم)[٣][٤].

---

(١)ابن كثير (إسماعيل بن عمر) ، تفسير القرآن العظيم ، ت سامي محمد السلامة، دار طيبة الرياض ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ – ١٩٩٩م ، ١ / ٤١٤ .

[٢] المرجع السابق ٢ / ٧٩ .

(٣) الزجاج (إبراهيم بن السري) معاني القرآن وإعرابه ،ت عبد الجليل عبده شلبي ،عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، ٤ / ١٢١ .

[٤]الحسني (علي شكر داود) آيات المقام في القرآن الكريم دراسة تحليلية ، موقع الجامعة الإسلامية في العراق على الإنترنت ،

http://aliraqia.edu.iq/articles-and-researchs/٢٨٣٠-٠ (بتصرف)

المقام في الحديث الشريف :

كما نجد للمقام ذكرا في حديث الرسول – ﷺ – ، وذكره يوم بدر حيث (كان في الأسرى سهيل بن عمرو أسره مالك بن الدخشم الأنصاري ، فلما أتى به النبي – ﷺ – ، قال عمر بن الخطاب : دعني أنزع ثنيته يا رسول الله فلا يقوم عليك خطيبا أبدا – وكان سهيل أعلم السفلى – فقال رسول الله – ﷺ – دعه يا عمر فسيقوم مقاما تحمده عليه ، فكان مقامه ذلك عند موت النبي – ﷺ – ، عندما ارتجت مكة وكاد أهلها يرتدون ، فقام سهيل بن عمر على باب الكعبة خطيبا ، فذكرهم بدعوة الرسول – عليه الصلاة والسلام – وجهاده لإعلاء كلمة التوحيد، وذكر أيضا ببشائره – عليه الصلاة والسلام – بفتح فارس والروم وغيرهما والتي رأوا بعضها فأمسك الناس عن الردة) [١]

ولم يكن مقام سهيل بن عمر – رضي الله عنه – ليقصر على هذه الكلمات ولم تكن هذه الكلمات التي كانت من سهيل بمنأى عن المقام ، وإنما دلت على أن المقام يشمل الظروف الحافة والملابسات المخالطة والكلام المرتبط بها والصادر عنها مرهون الدواعي بزمانه موصول الأسباب بمكانه) [٢] .

---

(١)ابن الأثير (علي بن أبي الكرم الشيباني) الكامل في التاريخ ، ت أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ م ، ٢ / ٢٧

(٢)سطوف (عزوز) بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف أنموذجا ، منشورات جامعة منتوري ، الجزائر ، السنة الجامعية ٢٠٠٩ – ٢٠١٠ م ص ٤٢

المقام في الوعي العرفاني :

أما في الوعي العرفاني فقد أجمع أهل التصوّف – كما يقول أحد الباحثين – على أن معنى المقام هو الإقامة ، ومقام كل أحد موضع إقامته عند ذلك ، لذلك فقد اعتبر الطوسي المقام ، هو مقام العبد بين يدي الله ، فيما يقدم فيه من العبادات والمجاهدات والرياضات (مقام خضوع وانكسار) واعتبره القشيري ما تحقق به العبد بمنازلته من الآداب ، ومما يتوصل إليه بنوع تصرف ، ويتحقق به بضرب تطلب ، ومقاساة تكلف وإنما سمى المقام مقاما لثبوته واستقراره ، وكما يقول السهروردي وهي الفكرة التي بلورتها تقاليد التصوف بعبارة (المقامات مكاسب) ولا يعني ذلك في جوهره ، سوى تربية الإرادة (الإنسانية) في كسب حدوثها الذاتي ، أي كسب الإرادة في الثبات على التغير ، وتعكس وحدة الثبات والتغير المميز لماهية المقام وحقيقته في أبعادها العامة والخاصة ، أسلوب بناء الأنا العرفانية وربط سلسلة كيانها الروحي ، فالعام فيها ، هو الكمي – الظاهري (الشرائعي) ، والخاص هو النوعي – الباطني ، أما وحدتهما ، ففيما أسموه أحيانا بـ ((مقامات الدين)) وأحيانا أخرى بـ ((مقامات اليقين)) فهو التوليف النموذجي لربط تراث الثقافة بتراث الحق ، لهذا حصرها بعض المتصوفة بسبع مقامات ، وآخرون في تسع ، وثالث في اثنى عشر ، ورابع في سبعة عشر ، وخامس بمقام واحد ، ويزيد بعضهم، أو ينقص ، ولكنهم يحصرونها ،مع ذلك جميعا ، بين التوبة والمحبة ، أو

التوبة والتوكل والرضا ؛ باعتبارهما بداية ونهاية كل طريق السالكين[١] ، فهو إذن مقام حضور روحي في الأساس ، لذلك فهو بمثابة وثبات في التغير الذي يؤدي إلى الفناء في المقام ، والبقاء في حقائقه المتعالية ، وهي العملية التي تفضى في نهاية المطاف إلى صيرورة الذات العرفانية (الروح المبدع) بوصفه نفيا شاملا للأنا في الذات ، ونفيا للذات في تجارب فنائها في الحق ، أي أنه بمثابة الذروة التي تعيد استظهار باطن الصوفي المتراكم ، أو ما دعاه السهروردي بامتلاك الاختيار الحق .

لذلك نجد أن المقام في الوعي العرفاني يتألف من ثلاثة مقومات رئيسة :

١ – مقوم العلم أو المعرفة المشتركة (السابقة) بالشيء المعروف.

٢ – ومقوم الحال التي عليها العارف أو السالك.

٣ – ومقوم الفعل (أو السلوك) الذي يجب على السالك (العارف) إنجازه ، أو القيام به لمواجهة وضعه الانطولوجي في إطار ما هو قائم فيه، وبه[٢].

وقيل : المقام هو استيفاء حقوق المراسم ، فإنه من لم يستوف حقوق ما فيه من المنازل لم يصح له الترقي إلى ما فوقه ، كما أن من لم يتحقق بالقناعة حتى يكون له ملكه لم يصح له التوكل ، ومن لم يتحقق

---

[١] وردت المنازل كلها في ابن القيم (محمد بن أبي بكر) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ت عبد العزيز بن ناصر الجليل ، دار طيبة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .

(٢) الحميري (عبد الواسع) في آفاق الكلام وتكلم النص ص ١١٥ – ١١٦ .

بحقوق التوكل لم يصح له التسليم ، وهلم جرًّا في جميعها ، وليس المراد من هذا الاستيفاء ، أن لم يبق عليه (بقية من) درجات المقام السافل حتى يمكن له الترقي إلى العالي ، فإن أكثر بقايا السافل ودرجاته الرفيعة ، إنما يستدرك في العالي ، بل المراد تملكه ، على المقام بالتثبت ، فيه بحيث لا يحول فيكون حلا وصدق اسمه عليه بحصول معناه ، بأن يسمى قانعا ومتوكلا وكذا في الجميع ، فإنه إنما سمى مقاما لإقامة السالك فيه .

مقام التنزل الرباني : هو النفس الرحماني ، أعني ظهور الوجود الحقاني في مراتب التعينات[١] .

وقيل : المقامات مثل التوبة والورع والزهد والفقر والصبر والرضا والتوكل وغير ذلك ، والمقام معناه مقام العبد بين يدي الله عز وجل فيما يقام فيه من المجاهدات والرياضيات و العبادات ، وشرطه أن يرتقي من مقام الى مقام ما لم يستوف أحكام ذلك المقام ، فان من لا قناعة له لا يصح له التوكل ، ومن لا توكل له لا يصح له التسليم وهكذا.

والمقام المحمود : هو جنة الذات ، قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام : " إن المقام المحمود أعلى مكان في الجنة ، وإنها لا تكون إلا لرجل واحد ، وأرجو أن يكون أنا ذلك الرجل " ، وهو جنة الذات وهي الطبقة الثامنة في ترتيب الجنان [٢] .

---

(١) الكاشاني (عبد الرزاق) معجم اصطلاحات الصوفية ، تحقيق عبد العال شاهين ، دار المنار ، القاهرة ، ط . ١ ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م ص ١٠٧ – ١٠٨

(٢) الحنفي (عبد المنعم) معجم مصطلحات الصوفية ، دار المسيرة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م ص ٢٤٨.

المقام اصطلاحا :

أما في الاصطلاح فقد " تعددت صيغ تعريف المقام ، إلا أنها جميعا تصب في معنى واحد ، هو محل إجماع بين البلاغيين " [١] ، فقال حمادي صمّود حين تحدث عن المقامات : " جملة من المستخلصات العملية توجه المتكلم إلى الطريق التي يجب اتباعها في صناعة الكلام ، ... ثم أورد مجموعة من المصطلحات المرادفة للمقام – تكاد تطابق معناه الاصطلاحي – وهي : " الموضع " و" الحال " و الأقدار " و " المقدار " و " المشاكلة " و " المطابقة " ..." [٢] ، وعرفه الهاشمي بقوله : " وحال الخطاب – ويسمى بالمقام – هو الأمر الحامل للمتكلم على أن يورد عبارته على صورة مخصوصة "[٣] ، وعرفه المراغي بقوله : " الحال – المقام – هو الأمر الذي يدعو المتكلم إلى إيراد خصوصية في التركيب "[٤]، وأطلق عليه الدكتور أحمد مطلوب مقتضى الحال ، وعرفه بقوله : " هو

---

(١)سطوف (عزوز) بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف أنموذجا ، ص٤٣.

(٢)صمّود (حمادي) التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١ م ، ص ٢٠٨ – ٢٠٩.

(٣)الهاشمي (السيد أحمد) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ، ت يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩ م ، ص ٤١.

(٤)المراغي (أحمد مصطفى) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م ، ص ٣٦.

أن يكون الكلام مطابقا للحال التي يتحدث عنها ، ومناسبا للموقف الذي يتحدث فيه)[١] (وأقل حد للمقام هو كل كلام مفيد "[٢] .

وقال عنه الدسوقي في حاشيته على السعد : " مقامات الكلام : الأمور المقتضية لاعتبار خصوصية ما في الكلام" [٣]، وإذا اختلفت المقامات لزم اختلاف مقتضيات الأحوال لأن اختلاف الأسباب في الاقتضاء يوجب اختلاف المسببات ، إذ الاعتبار اللائق بهذا المقام غير الاعتبار اللائق بذلك واختلافها عين اختلاف مقتضيات الأحوال ، ومقتضى الحال في التحقيق هو الكلام الكلي المكيف بكيفية مخصوصة على ما أشير إليه في المفتاح ، والحال أمر يقتضي أن يؤتى بالكلام على صفة مخصوصة تناسبه كالإنكار مثلا إذا اقتضى أن يورد الكلام مع صاحب ذلك الإنكار مؤكدا، فالكلام الموصوف بالتأكيد مقتضاه، فمثلا كون المخاطب منكرا للحكم حال يقتضي تأكيد الحكم، والتأكيد مقتضى الحال . وقولك :" إن زيدا في الدار مؤكدا بـ"إن" كلام مطابق لمقتضى الحال" وهذا يدل دلالة واضحة على (أن مقامات الكلام متفاوتة ، فمقام التشكر يباين مقام الشكاية ، ومقام التهنئة يباين مقام الترهيب ، ومقام الجد في جميع ذلك يباين مقام الهزل، وكذا مقام الكلام ابتداء يباين مقام الكلام ، بناء على الاستخبار أو الإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام

---

(١)مطلوب (أحمد) معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م ، ٣.

(٢)سطوف (عزوز) بلاغة مقام القص القرآني ، ص ٤٣.

(٣) الدسوقي (محمد بن محمد عرفة) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني ، مكتبة رشيدية ١ / ١٣٣.

البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر)[١] ، وعلى هذه المقامات تتوزع الظواهر الأسلوبية من تقديم وتأخير وتعريف وتنكير وحذف وذكر وقصر وفصل ووصل وإيجاز وإطناب لتحصل المطابقة المطلوبة التي جعلت أساسا لتعريف البلاغة .

وانطلاقا مما سبق يظهر أن الحال والمقام متقاربا المفهوم، والتغاير بينهما اعتباري ، فإن الأمر الداعي مقام باعتبار توهم كونه محلا لورود الكلام فيه على خصوصية ما، وحال باعتبار توهم كونه زمانا له، وأيضا المقام يعتبر فيه إضافته إلى المقتضى فيقال : مقام التأكيد والإطلاق والحذف والإثبات، والحال يضاف إلى المقتضى فيقال : حال التنكير وحال خلو الذهن وغير ذلك . وقد كان صاحب مواهب الفتاح أكثر وضوحا وجرأة حين ساوى بين المقام والحال في قوله :" فتقرر بهذا أن المقام والحال شيء واحد، وكذا الاعتبار ومقتضى الحال، وأنه لا فرق بين المقام والحال الحقيقي "

ومن المصطلحات التي تستعمل استعمال المقام والحال الموضع والمقدار والأقدار والمشاكلة والمطابقة والاقتضاء والظرف والسياق، وجميعها فروع عن أصل ثابت في تفكير اللغويين العرب وإن لم يتبلور على الصعيد الاصطلاحي هو فكرة المناسبة والملاءمة .

---

[١] السكاكي (يوسف بن أبي بكر) مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٧ م ، ص١٦٨

ويسميه القنوجي " بساط الحال " ويسميه جي آرفرث "سياق الظرف" وورد في كتاب "النظريات اللسانية والبلاغية عند العرب" باصطلاح "المطابقات النحوية"

إن المقام "هو الرصيد الحضاري للقول ، وهو مادة تغذيته بوقود حياته وبقائه ، ولا تكون الرسالة بذات وظيفة إلا إذا أسعفها السياق بأسباب ذلك ووسائله".

والمقامات هي جملة الظروف الحافة بالنص بما في ذلك السامع نفسه ولئن لم يضبطها البلاغي العربي ضبطا نظريا فإن تواتر استعمالها كفيل بأن يعطي القارئ فكرة ضافية عن المراد منها ، وهو إجمالا التلاؤم بين نوع الحديث وملابساته ونوع اللفظ ، فللجد موضع وشكل ، وللهزل موضع وشكل...

يقول تمام حسان :" فالذي أقصده بالمقام ليس إطارا ولا قالبا ، وإنما هو جملة الموقف المتحرك الاجتماعي الذي يعتبر المتكلم جزءا منه كما يعتبر السامع والكلام نفسه وغير ذلك مما له اتصال بالتكلم ، وذلك أمر يتخطى مجرد التفكير في موقف نموذجي ليشمل كل جوانب عملية الاتصال من الإنسان والمجتمع والتاريخ...والغايات والمقاصد"[١].

---

[١] حسان (تمام) الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م ، ٣٣٣

ويشترط في الكلام حتى يكون بليغا أن يطابق تلك المقتضيات، فتتم المطابقة بين اللفظ والمعنى والكلمة، والكلمة والكلمة والكلام والمستمع والظروف الخاصة بكل خطاب والتي تتجدد في كل لحظة [١].

[١] بلحبيب (رشيد) أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى ، موقع جامعة أم القرى على الإنترنت .

http://uqu.edu.sa/page/ar/١٦٥٨٠٦

المبحث الثالث

عنصرا المقام

للمقام عنصران : غرض ومخاطب.

١- **الغرض** : وهو الإطار العام الذي يوجه الكلام بأن يورد بصفة مخصوصة ، فصفة الكلام تكون وفقا للغرض المقصود ، فلكل غرض من أغراض الكلام تركيب يناسبه ، (فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناك ولا يشير إلى مغزاك وإلى العمود الذي إليه قصدت والغرض الذي إليه نزعت) [١] فلكل مقام مقال ، ومقامات الكلام في الأغراض متفاوته (فمقام التنكير يباين مقام التعريف ، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد ، ومقام التقديم يباين مقام التأخير ، ومقام الذكر يباين مقام الحذف ، ومقام القصر يباين خلافه ، ومقام الفصل يباين مقام الوصل ، ومقام الإيجاز يباين مقام الإطناب والمساواة)[٢]

٢- **المخاطَب** : المخاطب عنصر من عناصر المقام ، وهو اقتضاء الموقف ، وقد أولاه البلاغيون عناية بها خليق بما أسموه مراعاة حال المخاطب ، وهو المستمع الذي عناه العاني بما صدر عنه من مقال ، وهو الذي حظي بالاهتمام من مقام شارك فيه وأعان عليه ، إلى مقال قيل فيه ووجه إليه ، ومراعاة حال المخاطب ومنزلته هي مراعاة لمقتضى الحال ،

---

(١)الجاحظ (عمرو بن بحر) البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ١/ ١١٦ .

(٢)القزويني (محمد بن عبد الرحمن بن عمر) الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ٢٠٠٣ - م ١٤٢٤ هـ ص ٢٠ .

وإن كان ذلك كذلك ، كان الكلام بليغا ، وفي هذا المعنى قال بشر بن المعتمر: " ينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ، ويقسم المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات"[١] ، فخطاب الخاصة – مثلا- ليس كخطاب العامة ، وخطاب الملوك يباين خطاب المملوكين...، وكذا خطاب كل فئة لا يماثله خطاب فئة أخرى ، ولكن إن أمكنك أن (تبلغ من بيان لسانك و بلاغة قلمك ولطف مدخلك واقتدارك على نفسك إلى أن تفهم العامة معاني الخاصة وتكسوها الألفاظ الواسطة التي لا تلطف عن الدهماء ولا تجفوا عن الأكفاء فأنت البليغ التام [٢]..." [٣] .

---

(١)الجاحظ (عمرو بن بحر) البيان والتبيين ، ١ / ١٣٨ – ١٣٩.

(٢)السابق ص ١ / ١٣٦

(٣)سطوف (عزوز) بلاغة مقام القص القرآني ص ٤٣ – ٤٤ (بتصرف).

المبحث الرابع

نوعا السياق

للسياق نوعان رئيسان:

الأول: سياق المقال، هو السياق اللغوي الداخلي الذي ينتج عن ترابط الأصوات فيما بينها لتوليد الكلمات، والكلمات فيما بينها لتشكيل الجمل، والجمل فيما بينها لتشكيل النص .

فالقرائن المعتبرة لمعرفة دلالة سياق المقال، راجعة إلى النظم، والتراكيب النحوية، مع اعتبار قواعد دلالات الألفاظ، فالباحث في دلالة سياق المقال، يحتاج إلى التمكن من تلك الأدوات، ومن هنا تفاوت الباحثون في هذا المجال بسبب تفاوتهم في امتلاك تلك الأدوات...

الثاني: سياق المقام : (أما المعنى المقامي ، فهو الذي يتكون من ظروف أداء المقال ، وتلعب الاستعارة التمثيلية أحيانا دورا في المقام ، فقد يستعار لمقام ما مقال مشابه ذاع واشتهر كالأمثال والحكم التي تغني المتكلم عن تركيب مقال جديد ، فهو يستخدمها عند وجود عنصر المشابهة بين الموقفين، وبذلك يصير المقال القديم جزءا من المقام الجديد)[1] ، (وهو يمثل البيئة التفاعلية بين المتحدث والمخاطب، وما بينهما من عرفٍ سائد يحدد مدلولات الكلام، وذلك أن تداول الخطاب يجري

---

(١) سعدي (مليكة) الدلالة وجدل اللفظ والمعنى ، مجلة عود الند ثقافية شهرية إلكترونية ، العدد ٦١.

. http://www.oudnad.net/spip.php?article٨٥

في سياق ثقافي واجتماعي بين المتحدث والمخاطب، وليس لفظاً مجرداً عن محيطه الذي يجري فيه ، فمعرفة قصد المتحدث وحال المخاطب من وسائل فهم سياق المقام، فقد يجتمع نصان متفقان في ظاهرهما في المعنى، ولكنهما مختلفان في الدلالة تبعاً لقصد المتحدث، أو حال المخاطب، قال شيخ الإسلام ابن تيمية موضحاً أثر هذين الأمرين، وأن كل لفظ فهو (مقيد مقرون بغيره، ومتكلم قد عرفت عادته، ومستمع قد عرف عادة المتكلم بذلك اللفظ، فهذه القيود لا بد منها في كل كلام يفهم معناه، فلا يكون اللفظ مطلقا) [١] ... هذان النوعان ليسا منفصلين عن بعضهما، بل كل منهما يكمل الآخر، ولابد منهما عند التعامل مع النصوص ... ليتكامل الفهم، فالاقتصار على السياق المقالي وحده، سيجعل النص بيئة مغلقة تقتصر على ما تفيده الألفاظ من دلالات ومعان، وتحرم الباحث من البيئة الخارجية المحيطة بالنص، والوقف عند دلالة سياق المقام، تجعل الباحث يحوم حول حمى النص دون الولوج إليه [٢] .

ومن خلال ما تقدم تهيأ لنا المقام للدخول على عبارة القدماء ((لكلّ مقام مقال))

أول من قال هذه العبارة هو طرفة بن العبد في شعرٍ يعتذر فيه إلى عمرو بن هند ، فقال :

---

(١)ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام) مجموع الفتاوى ، جمع عبد الرحمن بن محمد القاسم ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م ، ٢٠ / ٤٥٠.

(٢)التخيفي (عبد المحسن) ، دلالة السياق وأثرها في فهم الحديث ، الإنترنت على الرابط التالي : http://www.feqhweb.com/vb/t٤٧٤٢.html(بتصرف).

تصدّق عليّ هداك المليك فإنّ لكلّ مقامٍ مقالا

ومن كثرة عناية العرب بها أجروها مجرى المثل ، بل جاءوا ونسجوا نظائر كثيرة ، فقالوا : لكل زمان رجال ، ولكل محلٍ حكمٌ يناسبه ، وخير القول ما وافق الحال ، بل شرَّفوا هذه العبارة ، فبحثوا لها عن نظائر في كتاب الله تعالى فقالوا : وفي اختصاص كل مقام بمقال قوله تعالى : ﴿لِكلِّ نَبَأٍ مُستَقَرٌّ ﴾ ، وكانت عبارة القدماء (لكل مقام مقال) جامعة تكفي دارسي الدلالات السياقية ،إذ ((المعنى الدلالي يعتمد في تكوينه على عنصريين : معنى المقال ، وهو المعنى الحرفي أو المعنى الظاهري للنص ، ومعنى المقام ، وهو مكون من ظروف أداء المقال ، وهي التي تشتمل على القرائن الحالية ، وهذا ما عبروا عنه بالمعنى الخارجي والمعنى الداخلي للجملة ، ويعبّر عنه بعضهم بالمعنى القصدي والمعنى التوسعي))

وقد أدرك القدماء تلك الإشارات والإيحاءات التي يلتمسها السامع في كلام المتخاطبين بحسب مقتضى الحال ، يقول ابن خلدون : " ويبقى من الأمور المكتنفة بالواقعات المحتاجة للدلالة عليه أحوال المتخاطبين أو الفاعلين ، وما يقتضيه حال الفعل وهو محتاج إلى الدلالة عليه لأنه من تمام الإفادة ، وإذا حصلت للمتكلم فقد بلغ غاية الإفادة في كلامه "[١] .

فإذا انتقلنا إلى الكتاب العزيز ألقينا للسياق اللفظي ، والقرينة الحالية دخلا كبيرا في فهم معاني نصه بأجمعه ، إذ من دون معرفة هذا السياق واستحضاره عند تفسيره ، يبقى المعنى عاما مبهما لا محصَّل وراءه ، إلاَّ

---

(١) ابن خلدون (عبد الرحمن) تاريخ ابن خلدون ،ت خليل شحادة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م ١/٧٦٠ .

معناه العام الذي تدلُّ عليه ألفاظه ، بل هي – أي المقامات – سر الإعجاز ، يقول الزركشي : " ومما يبعث على معرفة الإعجاز اختلاف المقامات ، وذكر كل موضع يلائمه ، ووضع الألفاظ في كل موضعٍ مع ما يليق به ، وإن كانت مترادفة حتى لو أبدل واحدة بالآخرة ذهبت تلك الطلاوة، وفاتت تلك الحلاوة ، فمن ذلك قوله تعالى : ﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلبينِ فِي جَوفِهِ ﴾ (الأحزاب ٤) ، وفي موضع آخر ﴿فِي بَطنِي مُحَرَّراً ﴾ (آل عمران ٣٥).

استعمل الجوف في الأول والبطن في الثاني مع اتفاقهما في المعنى ، ولو استعمل أحدهما في موضع الآخر لم يكن له من الحسن والقبول عند الذوق ما لاستعمال كل واحد منهما في موضعه "[١].

فالمقال وحده لا يكون محددا للدلالة إلا بمساعدة مقامه أي الشق الاجتماعي المصاحب له ، فعبارة (أهلا وسهلا) تقال عادة في الترحيب ، ولكن قد يفهم منها في المواقف الكلامية المنطقية المختلفة غير ذلك ، فعندما يقولها مدير العمل للموظفين الذين حضروا متأخرين عن موعد حضورهم بطريقة معينة ، فإنها تدل على التوبيخ ، وفي مواقف أخرى تدل على السخرية أو التهكم أو الشماتة ، وكثير من النصوص اللغوية نجد صعوبة في فهمها على الوجه الدقيق بسبب قطعها عن السياق الحالي أو غيبة بعض عناصره ، ولهذا فإن الاهتمام بسياق الحال فضلا عن سياق اللفظ ضروري للوصول إلى المعنى الدقيق والواضح .

---

[١] الزركشي (محمد بن عبد الله) البرهان في علوم القرآن ، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م ٢ / ١١٨ – ١١٩

ومن هنا أدرك المفسرون أن معرفة أسباب النزول – التي هي الأحداث والوقائع الملابسة للنص القرآني – من أعظم الوسائل لفهم دقائق النص القرآني ، ومعرفة خصوصيات الدلالة بتحديد المشترك (١).

لقد اهتدى علماء العربية في وقت مبكر من تاريخ العلوم اللغوية والبلاغية إلى ما يحف بظاهرة الكلام من الملابسات، كالسامع والمقام وظروف المقال وكل ما يقوم بين هذه العناصر غير اللغوية من روابط، والأمثلة كثيرة على أصالة هذا المبدأ الفني في التراث البلاغي العربي. فقد تحدث علماء القرآن عن أسباب النزول وأفردوه بالتأليف، وتحدث علماء الحديث عن أسباب الورود ، وتحدث الأدباء والنقاد عن أسباب وظروف الإنشاد..

ومن ذلك ما أورده الجاحظ في كتابه من أجوبة فيها توجيه لما نحن فيه. فمما نقله عن بعض أهل الهند قولهم: "جماع البلاغة التماس حسن الموقع والمعرفة بساعات القول". وأن "لا يكلم سيد الأمة بكلام الأمة، ولا الملوك بكلام السوقة... ومدار الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم والحمل عليهم على أقدار منازلهم" .كما فطن المفسرون إلى الفرق بين ظاهر القرآن وباطنه فكان فهمهم لهذا الفرق تفريقا منهم بين المعنى المقالي والمعنى المقامي.

كما اعتنى النحاة بدورهم بالمقام الذي تتشكل فيه العناصر اللغوية، مشيرين بذلك إلى تأثير دلالة سياق النص اللغوي وسياق الموقف

---

(١) الدوري (محمد ياس خضر) البيان القرآني بين المقام والمقال ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، المجلد ٢٠ العدد ٧ ، تموز ٢٠١٣ م ، ص ٧ – ٩

الملابس له على العناصر النحوية من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير والتعريف والتنكير وغير ذلك مما درسه ما يعرف بعلم المعاني إذ يدرس أحوال الإسناد الخبري وأحوال المسند إليه وأحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل.

فالوظيفة النصية تختص ببناء الحدث اللغوي (المقال) وذلك باختيار الجمل المناسبة للمقام ولقوانين النحو ولتنظيم المحتوى بطريقة منطقية مترابطة تتسق مع عملية الاتصال في مجموعها.

ولعل بحث الجانب البلاغي عند سيبويه بما في ذلك فكرة المقام من البحوث البكر التي يجب أن تنصرف إليها الهمم. يقول نهاد الموسى: "وكنت نظرت في سياق بحث مختلف في كتاب سيبويه ألتمس فيه هذا العنصر من عناصر التحليل فوجدته منذ ذلك العهد المبكر يفزع إلى "السياق" والملابسات الخارجية وعناصر المقام ليرد ما يعرض في بناء المادة اللغوية من ظواهر مخالفة إلى أصول النظام النحوي طلبا للاطراد المحكم وهو يوافق فيما صدر عنه في الكتاب ملاحظات كثيرة مما تنبني عليه الوظيفة ومناهج "التوسع" أو اللغويات الخارجية بعبارة دي سوسير"[١] .

وسيبويه يجمع في كتابه بين التفسير اللغوي وملاحظة السياق ولا يقف عند الجانب اللغوي الخالص المنسجم مع نظرية العامل ، بل يتسع في تحليل التراكيب إلى وصف المواقف الاجتماعية التي تستعمل فيها وما

---

[١] الموسى (نهاد) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ، الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ ، ٨٨

يلابس هذا الاستعمال من حال المخاطب وحال المتكلم وموضوع الكلام "كما تنبه إلى دور السياق في أمن اللبس وتحديد البناء الجواني المقصود من البناء البراني ذي الاحتمالات".

ويبلغ سيبويه من اعتبار موقف الاستعمال أن يجعله فيصلا في الحكم بصحة التراكيب النحوية وخطئها، ومن ذلك أننا نراه يقف على الجملة الواحدة فيحكم عليها في موقف من الاستعمال بأنها خطأ، وفي موقف من الاستعمال آخر بأنها صواب، وهذه الجملة لو اكتفى بالنظرة الشكلية الذاتية جملة نحوية جائزة، ولكن اللغة عنده لم تكن تنفك عن ملابسات استعمالها ومقاييس اللغة عنده تستمد من معطيات النظام الداخلي للبناء اللغوي كما تستمد من معطيات السياق الاجتماعي التي تكتنف الاستعمال اللغوي.

كما نلاحظ عناصر اللغويات الخارجية أو البعد الخارجي في التحليل النحوي في كتب شراح الشواهد النحوية بكثافة، ونخص بالذكر (خزانة الأدب) للبغدادي ، و(شرح شواهد المغني) للبغدادي والسيوطي... فمعنى البيت وإعرابه أحيانا لا يستقيم إلا بإرجاعه إلى سياقه ومراعاة ظروف مقامه.

وبهذا يكون اللغويون العرب عند اعترافهم بفكرة "المقام" متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم، لأن الاعتراف بفكرتي "المقام" و "المقال" باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب

من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة[١].

أما المقام في الوعي البياني، فقد نظر إليه بوصفه جُمَّاع عملية التواصل الإنساني، أو بوصفه ما يستدعي عملية التكلم، ويفرض شروط الكلام، لذلك وجدنا البلاغيين ينظرون إليه باعتبار أنه قد يكون مقام تكلم، أو مقام خطاب، أو مقام غيبة. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن من شأن المقام أنه قد يكون مقام إثبات، أو مقام نفي، أو مقام استفهام، أو مقام تحضيض وتحريض، أو مقام مدح، أو مقام ذم، أو مقام اعتذار، أو مقام تهديد أو وعيد... الخ

على أنه تجب الإشارة هنا إلى أن أول من أشار إلى المقام، وبين أهمية مراعاته خلال عملية التكلم، هو بشر بن المعتمر الذي نقل عنه الجاحظ قوله في هذا السياق:

المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقامٍ من المقال [٢].

ويقول في موضع آخر، موضحا أهمية المقال وينبغي على المتكلم مراعاته، خلال عملية التكلم :" وينبغي للمتكلم أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين ، وبين أقدار الحالات ، فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاما ، ولكل حالة من ذلك مقاما ، حتى يقسم أقدار الكلام

---

[١] بلحبيب (رشيد) أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى .

(٢) الجاحظ (عمرو بن بحر) البيان والتبيين ، ص ١٣٦.

على أقدار المعاني ، ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات ، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات . فإن كان الخطيب متكلما تجنب ألفاظ المتكلمين ، كما أنه إن عبر عن شيء من صناعة الكلام واصفا أو مجيبا أو سائلا كان أولى الألفاظ به ألفاظ المتكلمين ، إذ كانوا لتلك العبارات أفهم ، وإلى تلك الألفاظ أميل ، وإليها أحن ، وبها أشعف " [١].

(١) الحميري (عبد الواسع) في آفاق الكلام وتكلم النص ص ١١٤ – ١١٥ .

المبحث الخامس

مراعاة المقامات في كل مستويات اللغة

السياق المقالي هو ما تقدمه علوم العربية من صوت وصرف ونحو وبلاغة وظواهر لغوية أخرى ، لتكشف عن المعنى المحيط بالنص ، وذلك لا يكفي ، بل على الناظر مراعاة المخاطبين وأحوالهم ، فالمعاني وأقدارها تجري على أحوال هؤلاء ، وينعكس ذلك على الكلام – بكل مستوياته اللغوية – فيخرج على قدر المعاني التي روعي فيها مقام المخاطبين ، ... ومن هنا سنأتي على ذكر مستويات اللغة وأثر المقام فيها :-

١) **الصوت وأثر المقام فيه** : قال ابن جني : " فأما مقابلة الألفاظ بما يشاكل أصواتها من الأحداث فباب عظيم واسع ، ونهج متلئبٌ عند عارفيه مأموم ، وذلك أنهم كثيراً ما يجعلون أصوات الحروف على سمت الأحداث المعبّر بها عنها ، فيعدلونها بها ، ويحتذونها عليها ، وذلك أكثر مما نقدّره ، وأضعاف ما نستشعره ... ومن ذلك القدَّ طولا ، والقط عرضاً ، وذلك أن الطاء أخفض للصوت ، وأسرع قطعا له من الدال ، فجعلوا الطاء المناجزة لقطع العرض لقربه وسرعته ، والدال المماطلة لما طال من الأثر ، وهو قطعة طولا"[١]، فعبارة ابن جني في جري الأصوات على سمت الأحداث يثبت العلاقة الكائنة بين الصوت ومقامات الكلام ، وأن الصوت يحاكي مقام الآيات ، كما وقع في الآيات المكية التي تتمثل بقوة جرسها وقصر فاصلتها وجهر حروفها ؛ لاشتمالها على آيات التوحيد وتثبيت

(١)ابن جني (عثمان) الخصائص ، ت محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ٢ / ١٥٧ – ١٥٨

العقيدة ، فضلا عن خطابها للكافرين الذين أغلقوا سمعهم ، بدليل قوله تعالى حكايةً عنهم : ﴿ وَقَالَ الذّينَ كَفَرُوا لاَ تَسْمَعُوا لِهَذا القُرآَنْ والّغَوا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونْ ﴾ (فصلت ٢٦).

فجاءت الأصوات لتقرع الأسماع ، وتهز الأفئدة ، في حين كانت الآيات المدنية فيها انسيابية في الصوت وطلاقة في الحروف ، لاشتمالها على آيات التشريع ، فضلا عن خطابها للمؤمنين ، الذين تهيأوا لنشر هذا الدين ، فكانت الأصوات تحاكي حالهم ، لقوله تعالى : ﴿ ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبّكَ بالحِكْمةِ وَالمَوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحسَنُ ﴾(النحل١٢٥).

ومما يثبت جريان الأصوات على سمت الأحداث المعبَّرة بها عنها – المفردة القرآنية ((اثَّاقلتم)) فلو استبدلنا مكانها ((تثاقلتم)) التي هي أصلها قبل الإدغام ، لأحسسنا بشيء من الخفة ، وانسيابية في النطق ، في حين أن البيان القرآنيّ أراد الشدّة والثقل الذين أعطتهما أصوات هذه الكلمة وتركيبها ، لورودها في قوله تعالى : ﴿ يَأيّهَا الذِينَ ءامَنُوا مَا لَكُم إذَا قِيلَ لَكمْ انفِروا فِي سَبِيلْ اللَّه اثَّاقَلتُم الى الأرض ﴾ (التوبة ٣٨) فالتصوير الفني للفظة ((اثاقلتم)) كفيل بإعطاء صورة لذلك الجسم المثَّاقل عن النفير للجهاد في سبيل الله ،فالثقل في تلفظ هذه المفردة، يوحى بالحركة البطيئة التي تكون من المثَّاقل ، وهي بجرسها تمثل الجسم المسترخي الثقيل ، يرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل! ويلقيها بمعنى ألفاظه :

«اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ» .. وما لها من جاذبية تشد إلى أسفل وتقاوم رفرفة الأرواح وانطلاق الأشواق (١).

٢) **الصرف وأثر المقام فيه** : إن الصيغ الصرفية تصلح لأن تكون أداةً للكشف عن خصوصيات الدلالة بمراعاتها في السياق وتركيب الكلام ، وقد تنبه الخليل إلى أن العرب تحاكى ببنية اللفظ معناه ، فقالوا : (صرَّ الجندب صريرا وصرصر الأخطب صرصرة ، فكأنهم توهموا في صوت الجندب مدّاً ، وتوهموا في صوت الأخطب ترجيعا)(٢) ، وقال تمام حسان : (إن المعاني الوظيفية التي تعبر عنها المعاني الصرفية هي بطبيعتها تتسم بالتعدد والاحتمال ، فالمبنى الصرفي الواحد صالح لأن يعبر عن أكثر من معنى واحد ما دام غير محقق بعلامةٍ ما ، في سياق ما ، فإذا تحقق المعنى بعلامة أصبح نصاً في معنى واحدٍ بعينه تحدده القرائن اللفظية والمعنوية والحالية على السواء)(٣) ومن ذلك قوله تعالى :﴿ كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي

---

(١) قطب (سيد) في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط . ١٥ ، ١٤٠٨ – ١٩٨٨ م ج ٣ ص ١٦٥٥

(٢)الفراهيدي (الخليل بن أحمد) ، كتاب العين ، تـ عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ – ٢٠٠٣ م ، ١ / ٤٠

(٣)حسان (تمام) اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ، ١٩٩٤ م ص ١٦٣

خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (التوبة ٦٩).

فآثرت الآية الاستمتاع على التمتع مع أن مفادهما واحد ، لكن في صيغة الاستفعال معنى زائد يعين على فهم المقام ((ما ليس في صيغة التفعُّل من الاستزادة والاستدامة في التمتع)) ، فالصيغة دلت على عكوفهم على الدنيا يطلبونها بنهم وتسابق .

٣) **النحو وأثر المقام فيه** : ليس التركيب النحوي بمعزلٍ عن السياق ، بل هو من أصول نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني ، وأن التركيب النحوي قائم على توخي معانيه في الكلام ومقتضيات الأحوال ، يقول عبد القاهر : " ليس النظم شيئًا إلاّ توخّي معاني النحو وأحكامه ووجوهه وفروقه فيما بين معاني الكلم وأنّكَ قد تبيَّنت أنه إذا رُفع معاني النحو وأحكامه ... خرجت الكلم المنطوق ببعضها في إثر بعضٍ ... عن أن يكون لكونها في مواضيعها التي وضعت فيها موجب أو مقتضٍ "[١] ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿وجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(التوبة ٤٠)

ففي الأولى نصب (كلمةَ) على المفعولية ، وفي الثانية رفع (كلمةُ) على الابتداء ، وهو قوي ؛ لدلالة الاسمية على الدوام بقرينة المقام ؛ إذ كلمته عالية غاية العلو على الدوام ، فضلاً عن أنها تدلُّ على الثبوت ، وهي في حقه تعالى تكون تنزيها عن الحدوث والتجدد ؛ إذ كلمة التوحيد

---

(١)الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن) ، دلائل الإعجاز ، ت محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٥ ، ٢٠٠٤ م ، ص ٥٢٥

(لا إله إلا الله) أزلية ، تثبت الإله الواحد ، في حين كلمة الكافرين عرضية افتعلها المشركون ، فأشركوا بالله من دونه ما لا يضر ولا ينفع.

٤) **الفروق اللغوية وأثر المقام فيها** : لا يخفى على الدارسين عناية القدماء بدقائق الفروق بين الألفاظ المتقاربة المعاني كما ألف في ذلك أبو هلال العسكري ، لكن الذي يشغلنا هو الفروق التي تقع في السياق بين الألفاظ المتقاربة المعاني ، واسمع لقول ابن الأثير في تبادل المفردات في السياق ؛ إذ يقول : " واعلم أيها المتوشح لمعرفة علم البيان أن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك ، وهو لا يتوخاه في كلامه إلا العارف برموز الفصاحة والبلاغة ، الذي اطلع على أسرارهما وفتش عن دفائنهما ، ولا تجد ذلك في كل كلام ، فإنه من أشكل ضروب علم البيان وأدقها فهما وأغمضها طريقا"(١) .

فإذا وجدناه في أشرف كلام وهو كلام العزيز الحكيم فسينبئنا عنه الإسكافي فيقول : " إذا أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية على لفظ مخصوص ، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن ، وقد غير فيها لفظة

(١) ابن الأثير (نصر الله بن محمد) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ت محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ، مصر ، ج ٢ ص ١٦

كما كانت عليه في الأولى ، فلا بد من حكمة هناك تطلب ، فإذا أدركتموها فقد ظفرتم ، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك ، بل جهلتم" [١] .

٥) **البلاغة وأثر المقام فيها** : منتهى بلاغة القول هو مطابقته لمقتضى الحال ، لذا تقع عبارة (لكل مقام مقال) منها كل موقع ، يقول ابن الأثير : " فموضوع علم البيان هو الفصاحة والبلاغة ، وصاحبه يسأل عن أحوالها اللفظية والمعنوية ، وهو والنحوي يشتركان في أن النحوي ينظر في دلالة الألفاظ على المعاني من جهة الوضع اللغوي ، وتلك دلالة عامة ، وصاحب علم البيان ينظر في فضيلة تلك الدلالة ، وهي دلالة خاصة ، والمراد بها أن يكون على هيأة مخصوصة من الحسن ، وذلك أمرٌ وراء النحو والإعراب ، ألا ترى أن النحوي يفهم معنى الكلام المنظوم والمنثور ، ويعلم مواقع إعرابه ، ومع ذلك فإنه لا يفهم ما فيه من الفصاحة والبلاغة ، ومن ههنا غلط مفسرو الأشعار في اقتصارهم على شرح المعنى ، وما فيها من الكلمات اللغوية وتبيين مواضع الإعراب منها، دون شرح ما تضمنته من أسرار الفصاحة والبلاغة "[٢].

وتعارف الدارسون المحدثون على تسمية المقامات التي تقع من جهة علوم البلاغة بالأغراض البلاغية ، ولا مشاحة في الاصطلاح إذا كان مؤدَّى الاثنين واحدًا ، وهو معرفة سمة القصد من التعبير ..... ومقامات

---

(١)الإسكافي (محمد بن عبد الله الأصبهاني) ، درة التنزيل وغرة التأويل ،ت محمد مصطفى آيدين ، منشورات جامعة أم القرى ، السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م ، ١ / ٢٥٠– ٢٥١ .

(٢)ابن الأثير (نصر الله بن محمد) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ١ / ٧

البلاغة أعظم من أن تحصى في هذه العجالة ، فالخبر والإنشاء يخرجان لمقامات يدركها صاحب الذوق السليم من سياق الكلام ، ولا سيما في كتاب الله تعالى [١].

ويقول الدكتور عبد الواسع الحميري : "أما المقام في الوعي البياني فقد نظر إليه بوصفه جُمَّاع عملية التواصل الإنساني، أو بوصفه ما يستدعي عملية التكلم، ويفرض شروط الكلام، لذلك وجدنا البلاغيين ينظرون إليه باعتبار أنه قد يكون مقام تكلم، أو مقام خطاب، أو مقام غيبة ، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن من شأن المقام، أنه قد يكون مقام إثبات، أو مقام نفي، أو مقام استفهام، أو مقام تحضيض وتحريض، أو مقام مدح، أو مقام ذم، أو مقام اعتذار، أو مقام تهديد أو وعيد... الخ

على أنه تجب الإشارة هنا إلى أن أول من أشار إلى المقام، وبين أهمية مراعاته خلال عملية التكلم، هو بشر بن المعتمر الذي نقل عنه الجاحظ قوله في هذا السياق: " المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة، مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقامٍ من المقال [٢] " [٣] .

---

(١)الدوري (محمد ياس خضر) البيان القرآني بين المقام والمقال ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، المجلد ٢٠ العدد ٧ ، تموز ٢٠١٣ م ، ص ٩ – ١٤ (بتصرف)

(٢)الجاحظ (عمرو بن بحر) البيان والتبيين ، ١ / ١٣٦

(٣)الحميري (عبد الواسع) في آفاق الكلام وتكلم النص ، ص ١١٤ – ١١٥

وتلك المقامات هي التي تكشف عن جماليات تعدد الأساليب العربية ، وفي مقدمتها الأسلوب القرآني، قال عبد القاهر الجرجاني– رحمه الله – : " وجملة القول أنا لا نوجب الفصاحة للفظة مقطوعة مرفوعة من الكلام الذي هي فيه ، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها ، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها "[١] ، و قال مسلم بن يسار – رحمه الله – : " إذا حدثت عن الله حديثا فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده "[٢] ، وقال الإسكافي – رحمه الله – : " إذا أورد الحكيم تقدست أسماؤه آية على لفظ مخصوص ، ثم أعادها في موضع آخر من القرآن ، وقد غير فيها لفظة كما كانت عليه في الأولى ، فلا بد من حكمة هناك تطلب ، فإذا أدركتموها فقد ظفرتم ، وإن لم تدركوها فليس لأنه لا حكمة هناك بل جهلتم"[٣] .

ومن هنا يتضح لنا أهمية المقام والسياق في فهم الكلام ، ومعرفة المراد منه ، وأن العرب يعتنون بذلك غاية الاعتناء حتى يؤدي الكلام غرضه المنشود منه ، ويكون المتحدث عند مراعاته فصيحا بليغا .

---

(١)الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن) ، دلائل الإعجاز ، ص ٤٠٢ .

(٢)ابن كثير (إسماعيل بن عمر) ، تفسير القرآن العظيم ، ١ / ١٣ .

(٣)الإسكافي (محمد بن عبد الله الأصبهاني) ، درة التنزيل وغرة التأويل ، ١ / ٢٥٠– ٢٥١ .

المبحث السادس

نماذج من مراعاة المقال للمقام

وبعد أن تعرفنا على المقام وأثره في بلاغة الكلام ، فلا يكون المتكلم بليغًا ما لم يراع المقامات ، وفيما يلي سأورد بعض النماذج اليسيرة :

أولاً – نماذج من القرآن الكريم :

القرآن الكريم كله نموذج على ذلك، فالقرآن – ولا شك – قد بلغ من البلاغة ذروتها ، فليس هناك كلام يوازيه ولا يدانيه في بلاغته وإعجازه ، (ووجوه الإعجاز كثيرة أشار إليها ، أو إلى بعضها العلماء والأدباء الذين بحثوا في مسائل الإعجاز ، وبقي كثير من وجوه الإعجاز البياني وغير البياني للأزمان المختلفة ، والأمداء الممتدة ، لكي يكشف عنها الدارسون والمتذوقون)[1] ، ومن بلاغة القرآن وإعجازه العظيم مراعاة الآيات للمقامات التي وردت فيها ، ومن ذلك :

١- قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١٤٧ ﴾ (البقرة) ، وقال سبحانه : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٥٩ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ٦٠ ﴾ (آل عمران) ، بالنظر في الآيتين السابقتين يتبين لنا أن نون التوكيد الثقيلة قد وردت

---

[1] بريغش (محمد حسن) الأدب الإسلامي أصوله وسماته ، دار البشر ، عمان ، الأردن ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م ، ص ١٨٣ .

في آية البقرة ولم ترد في آية آل عمران ، وبالتأمل يتبين لنا أن كل آية جاءت مناسبة للمقام الذي وردت فيه ، فقد تقدم آية البقرة ما يستدعي التوكيد بخلاف آية آل عمران ، قال ابن جماعة – رحمه الله – عند آية آل عمران : " آية البقرة تقدمها (فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا) فناسب: فلا تكوننَّ، ولم يتقدم هنا ما يقتضيه " [١] ، وقال الكرماني – رحمه الله – : " لأَن مَا فِي هَذِه السُّورَة – أي سورة آل عمران – جَاءَ على الأَصْل وَلم يكن فِيهَا مَا أوجب إِدْخَال نون التوكيد فِي الْكَلِمَة بِخِلاف سُورَة الْبَقَرَة فَإِن فِيهَا فِي أول الْقِصَّة (فلنولينك قبْلَة ترضاها) بنُون التوكيد ، فَأوجب الازدواج إِدْخَال النُّون فِي الْكَلِمَة ، فَيصير التَّقْدِير : فلنولينك قبْلَة ترضاها فَلا تكوننَّ من الممترين ، وَالْخطاب فِي الآيَتَيْنِ للنَّبِي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمرَاد بِهِ غَيره " [٢] ، و– أيضًا – المقام في البقرة مقام التوكيد ، حيث سبقه التوكيد بإن وأن في أكثر من موضع فناسب ورود نون التوكيد بخلاف آل عمران ، قال شيخ الإسلام الأنصاري – رحمه الله – : "لأنَّ ما في " آل عمران " جاء على الأصل ، ولم يكن فيها ما اقتضى إدخال نون

---

(١)ابن جماعة (بدر الدين) ،كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، ت عبد الجواد خلف ، دار الوفاء للنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط ١ ، ١٤١٠ – ١٩٩٠م ، ص ١٣١ .

(٢)الكرماني (محمود بن حمزة) ، أسرار التكرار في القرآن ، المسمى : البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ،

ت عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة ، ط بدون ، بدون تاريخ ، ص ٩١ – ٩٢ .

التوكيد ، بخلاف ما هنا ، فإنَّ قبله التوكيد بأَنَّ في قوله " أَنَّه الحقُّ من ربهم " ... فناسب التوكيد بالنون " (١).

٢- وقوله تعالى : ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ٧٠ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ٧١ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ٧٢ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ٧٣ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ٧٤ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ٧٥ ﴾ (الكهف) ، فبالنظر في الآيتين السابقتين يتبين لنا أن الآية الثانية اشتملت على زيادة لم ترد في الأولى وهي (لك) ، وبالتأمل يتضح لنا أن كل صيغة وردت في المقام المناسب لها ، حيث وردت الزيادة في الموضع الذي يستدعي التوكيد ، حين كرر موسى – عليه السلام – استنكاره لما فعله الخضر ، واستعمل كلمة تدل على شدة استنكاره لما فعل وهي (نكرا) فناسب التوكيد في الثانية دون الأولى ، قال شيخ الإسلام الأنصاري – رحمه الله – : "قوله تعالى: (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) قاله بلفظ " الإِمْرِ " ، لأنه للعجب، والعجب كما يكون في الخير، يكون في الشرِّ، وقاله بعد في قتل الغلام بلفظ " نُكْرًا " ، لأنه لا يكون إلا في الشرّ ، وقتلُ النفسِ أعظمُ من مجرَّد خرق السفينة ، فناسب كلٌّ ما هو فيه ، ولذلك قال في خرق السفينة : (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ) بحذف (لك) ، وفي قتل الغلام : (أَلمْ أَقُلْ لكَ إِنَّكَ) بذكره ، ولأن في ذكره قصدَ

---

(١)الأنصاري (زكريا) ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، ت محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م ، ص ٤٥ – ٤٦ .

زيادة المواجهة بالعتاب على تركِ الوصيَّةِ مرَّة ثانية "[١] ، وقال الإسكافي – رحمه الله – : "للسائل أن يسأل عن زيادة (لك) في الثانية وإخلاء الأولى منها.

والجواب أن يقال: إنه في الأولى لماّ قرّر موسى وذكر ما كان ، قدّم القول فيه من أن الصبر على ما يشاهده منه يثقل عليه فقال : (ألم أقل إنك لن تستطع معي صبرًا) معناه في غالب ظني : إنك تعجز عن احتمال ما ترى حتى تبادر إلى الإنكار ، فلما رأى قتل الغلام وعاد إلى الإنكار ، أكد التقرير الثاني بقوله : (لك) كما يقول القائل : لك أقول ، وإياك أعنى ، فيقدم (لك) و"إياك " ، ولو قال : أقول لك ، وأعنيك بكلامي لاستويا في المعنى ، إلا أنّ في (لك) تأكيد الخطاب بالتقديم ، فكأنه قال : ألم يكن خطابي لك دون مَن سواك ، وهذا وجب في الثاني لا في الأول الذي لم تتأكد حجة الخضر – عليه السلام – كتأكّدها في الثاني" [٢] ، وقال الكرماني – رحمه الله – : " قَوْله (ألم أقل إِنَّك) وَبعده (ألم أقل لَك إِنَّك) ، لأَن الْإِنْكَار فِي الثَّانِيَة أَكثر ، وَقيل : أكد التَّقْدِير الثَّانِي بقوله لَك كَمَا تَقول لمن توبخه : لَك أَقُول ، وَإِيَّاك أَعنِي ، وَقيل : بَيَّنَ فِي الثَّانِي الْمَقُول لَهُ لما لم يبين فِي الأول "[٣] ، وكذلك فالآية الأولى في مقام التذكير بما شرط عليه من قبل ، أما الثانية فقد كرر موسى – عليه السلام – الإنكار

---

(١)الأنصاري (زكريا) ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، ص ٣٤٥ – ٣٤٦ .

(٢)الإسكافي (محمد بن عبد الله الأصبهاني) ، درة التنزيل وغرة التأويل ، ٢ / ٨٨١ – ٨٨٢ .

(٣)الكرماني (محمود بن حمزة) ، أسرار التكرار في القرآن ، ص ١٧٠ .

عليه فناسب التوكيد ، قال ابن جماعة – رحمه الله – : "قوله تعالى: (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ) وقال : (أَلَمْ أَقُلْ لَكَ) ، جوابه : أنَّ الخضر قصد بالأولى تذكير موسى عليهما السلام بما شرط عليه فخاطبه بلطف وأدب معه ، وفى الثانية كرر موسى الإنكار عليه، فشدد الخضر عليه ، وأكد القول بقوله (لك) لأنَّ كاف الخطاب أبلغ في التنبيه " [(١)] ، وقال الغرناطي – رحمه الله – : " قوله تعالى في حكاية قول الخضر لموسى – عليهما السلام – : (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (٧٢ الكهف) ، ثم قوله بعد ذلك في قصة قتل الغلام : (أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (الكهف ٧٥) ، للسائل أن يسأل عن الفرق الموجب لزيادة (لك) في هذا القول الثاني؟

والجواب : أن الخضر قد كان قال لموسى حين قال له موسى – عليه السلام – : (هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (الكهف: ٦٦ – ٦٧) ، فلما كان من موسى عند خرق السفينة ما كان من الإنكار بقوله : (أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا) (الكهف: ٧١) ، ذكّره الخضر بما كان قد قاله له ، من غير أن يزيده على إيراد ما كان قد قاله ، فقال: (أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) (الكهف: ٧٢) ، فاعتذر موسى – عليه السلام – بقوله : (لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا) (الكهف: ٧٣) ، فلما وقع منه بعد ذلك إنكار قتل الغلام بقوله : (أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ)

---

(١)ابن جماعة (بدر الدين) ،كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، ص ٢٤٢ – ٢٤٣ .

(الكهف: ٧٤) ، وأبلغ في وصف الفعلة بقوله : (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) (الكهف: ٧٤) ، قابل الخضر ذلك بتأكيد الكلام المتقدم ، فقال : (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ) ، فالضمير المجرور بيان جيء به تأكيدًا ، ليقابل بالكلام ما وقع جوابًا له من قوله موسى – عليه السلام – زيادة للتناسب " [١] ، والزيادة تدل على العتاب لأن موجبه أقوى قال الزمخشري – رحمه الله – : (فإن قلت : ما معنى زيادة لَكَ ؟ ، قلت : زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية ، والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية) [٢] ، وقال البيضاوي – رحمه الله – : (قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) ، زاد فيه (لَكَ) مكافحة بالعتاب على رفض الوصية ، ووسمًا بقلة الثبات والصبر لما تكرر منه الاشمئزاز والاستنكار ولم يرعو بالتذكير أول مرة حتى زاد في الاستنكار ثاني مرة)[٣]، وقال الشوكاني – رحمه الله – : (زَادَ هُنَا لَفْظَ لَكَ؛ لِأَنَّ سَبَبَ الْعِتَابِ أَكْثَرُ ، وَمُوجِبَهُ أَقْوَى ، وَقِيلَ : زَادَ لَفْظُ لَكَ ؛ لِقَصْدِ التَّأْكِيدِ) [٤].

---

(١)الغرناطي (أحمد بن إبراهيم الثقفي) ملاك التأويل القاطع بذوي الالحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ، ٢ / ٧٨٩

(٢)الزمخشري (محمود بن عمر) ، تفسير الكشاف ، ت خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة بيروت ، ط ٣ ، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م ، ص ٦٢٦ .

(٣)البيضاوي (عبد الله بن عمر) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، ت محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، بدون تاريخ ، ٣ / ٢٨٩ .

(٤)الشوكاني (محمد بن علي) ، فتح القدير ، ت يوسف الغوش ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٢٨ هـ – ٢٠٠٧ م ، ص ٨٧٠ .

٣- وقوله تعالى : ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ١١١ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٖ ١١٢ ﴾ (الأعراف) ﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧ ﴾ (الشعراء) .

فبالنظر في الآيتين السابقتين نجد اختلافًا في صيغة الاسم ، حيث ورد في سورة الأعراف بصيغة اسم الفاعل (ساحر) وورد في سورة الشعراء بصيغة المبالغة (سحار) ، ولا شك أن صيغة المبالغة آكد وأبلغ من اسم الفاعل ، فعند التعبير عن الكثرة (تحول صيغة الفاعل للمبالغة والتكثير إلى فعّال ، أو فعول ، أو مفعال بكثرة ...)[١] ، ومن هنا يتضح لنا أن كل صيغة وردت في المقام المناسب لها والمستدعي لها فقد تقدم كل صيغة ما يستدعيها ، قال ابن جماعة – رحمه الله – عند آية الأعراف : " وأما قوله تعالى هنا : (بِكُلِّ سَاحِرٍ) وفى الشعراء (بِكُلِّ سَحَّارٍ) ؛ فلتقدم قولهم : (بسحره) فناسب صيغة المبالغة بـ (سَحَّارٍ) "[٢] ، وقال الكرماني – رحمه الله – عند آية الأعراف : " قَوْله (بِكُل سَاحر عليم) وَفِي الشُّعَرَاء (بِكُل سحَّار) ، لِأَنَّهُ رَاعى مَا قبله فِي هَذِه السُّورَة وَهُوَ قَوْله (إِن هَذَا لساحر عليم) وراعى فِي الشُّعَرَاء الإِمَام [يقصد

---

(١)ابن هشام (عبد الله بن يوسف بن أحمد) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ت محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت ، ط بدون ، بدون تاريخ ، ٣ / ٢١٩ .

(٢)ابن جماعة (بدر الدين) ،كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، ص ١٨٧ .

المصحف الإمام المعتمد رسمه في كتابة المصحف][1] فَإِنَّهُ فِيهِ (بِكُل سحَّار) بِالْألف "[2] ، وقال شيخ الإسلام الأنصاري – رحمه الله – عند آية الأعراف : " (يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيم) . قاله هنا وفي " يونس " بلفظ (سَاحِر) موافقةَ لما قبله، وهو " إِنَّ هذا لَسَاحِرٌ عليم " هنا، و (إِنَّه لا يفلحُ السَّاحِرونَ) في يونس ، وقرئ (بكل سحار) موافقة لما في الشعراء " [3] ، وقال أبو حيان – رحمه الله – عند آية الأعراف : " وَفِي الشُّعَرَاءِ أَجْمَعُوا عَلَى سَحَّارٍ وَتُنَاسِبُ (سَحَّارٌ عَلِيمٌ) ، لِكَوْنِهِمَا مِنْ أَلْفَاظِ الْمُبَالَغَةِ ، وَلَمَّا كَانَ قَدْ تَقَدَّمَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ نَاسَبَ هُنَا أَنْ يُقَابِلَ بِقَوْلِهِ بِكُلِّ ساحِرٍ عَلِيمٍ "[4] ، وكذلك فقد بلغ الكرب من فرعون مبلغه فكان الموقف يستدعي الإتيان بالحذّاق من السحرة حيث إن صيغة المبالغة تدل على حذقهم وكثرة ممارستهم للسحر ، قال أبو حيان – رحمه الله – : " وَلَمَّا قَالَ: (إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) ، عَارَضُوا بِقَوْلِهِ : (بِكُلِّ سَحَّارٍ) ، فَجَاءُوا بِكَلِمَةِ الاسْتِغْرَاقِ ، وَالْبِنَاءِ الَّذِي لِلْمُبَالَغَةِ ، لِيُنَفِّسُوا عَنْهُ بَعْضَ مَا

---

(١)الشثري (صالح بن عبد الله) ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ،ط بدون ، ١٤٢٥ هـ ، ص ١٧٠ .

(٢)الكرماني (محمود بن حمزة) ، أسرار التكرار في القرآن ، ص ١٢٧ .

(٣)الأنصاري (زكريا) ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، ص ٢٠٤ .

(٤)أبو حيان (محمد بن يوسف) ، البحر المحيط ، ت عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م ، ٤ / ٣٦٠ .

لَحِقَهُ مِنَ الْكَرْبِ "[١] ، وقال سيد قطب – رحمه الله – عند آية الشعراء : "يجمعون السحرة المهرة ، لإقامة مباراة للسحر بينهم وبينه "[٢] ، وقال الشعراوي – رحمه الله – : " ولأن المستشرقين يريدون أن يشككونا في القرآن قالوا : ولماذا قال في سورة الشعراء: (يأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ) ، وكان هؤلاء المستشرقين يريدون أن يفرقوا بين (سَاحِرٍ عَلِيمٍ) و (سَحَّارٍ عَلِيمٍ) ؛ ولأنهم لا يعرفون اللغة لم يلتفتوا إلى أن «سحّار» تفيد المبالغة من جهتين ، فكلمة «ساحر» تعني أنه يعمل بالسحر، و «سحّار» تعني أنه يبالغ في إتقان السحر ، والمبالغات دائماً تأتي لضخامة الحدث ، أو تأتي لتكرر الحدث ، فـ «سحّار» تعني أن سحره قوي جدًّا ، أو يسحر في كل حالة ، فمن ناحية التكرار هو قادر على السحر ، ومن ناحية الضخامة هو قادر أيضاً ، ومادام القائلون متعددين فواحد يقول : ساحر ، وآخر يقول: سحَّار وهكذا ، والقرآن يغطي كل اللقطات "[٣] .

٤- وقوله تعالى : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ٢٢ ﴾ (هود)، وقال سبحانه : ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ١٠٩ ﴾ (النحل) ، فبالنظر في الآيتين السابقتين نرى صيغة الاسم قد اختلفت بين اسم التفضيل (الأخسرون) واسم الفاعل (الخاسرون) ، وبالتأمل يتضح لنا أن كل صيغة وردت في المقام اللائق

---

[١] المرجع السابق ، ٧ / ١٥ .

[٢] قطب (سيد) في ظلال القرآن ، ٥ / ٢٥٩٤ .

(٣) الشعراوي (محمد متولي) تفسير الشعراوي ، مطابع دار أخبار اليوم ، ط بدون ، بدون تاريخ ، ٧ / ٤٢٨٨ .

بها فاسم التفضيل " هو الاسم المصوغ من المصدر للدلالة على أن شيئين اشتركا في صفة ، وزاد أحدهما على الآخر في تلك الصفة " [١] ، وقد تقدم صيغة اسم التفضيل ما يفهم المفاضلة ، بعكس آية النحل التي لم يقع قبلها ما يدل على المفاضلة ، بل سبقت بصيغة الفاعل في أكثر من موضع (هم الكاذبون) (النحل ١٠٥) و (القوم الكافرين) (النحل ١٠٧) و (هم الغافلون) (النحل ١٠٨)، قال الغرناطي – رحمه الله –: " للسائل أن يسأل عن وجه تخصيص آية هود بقوله : (الأَخْسَرُونَ) وآية النحل بقوله : (الْخَاسِرُونَ)؟ وهل كان يمكن العكس ؟

والجواب : أن آية هود تقدمها ما يفهم المفاضلة ، ألا ترى أن قوله تعالى: (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ من ربه ...) الآية (هود: ١٧) ، يفهم من سياقها أن المراد : أفمن كان على بينة من ربه كمن كفر وجحد وكذب الرسل؟ ثم أتبع هذا بقوله : (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً) (هود: ١٨)، فهذا صريح مفاضلة ، ثم أستمرت الآي في وصف من ذكر وعرضهم على ربهم وقول الأشهاد : (هَؤُلاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ (١٨) الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ...) (هود: ١٨، ١٩) إلى ذكر مضاعفة العذاب لهم ، واستمر ذكرهم إلى قوله: (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمْ الأَخْسَرُونَ) (هود: ٢٢) ، فناسب لفظ الأخسرين بصيغة التفاضل، ومقصود التفاوت ما تقدم مما يفهم ذلك من قوله تعالى : (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) (هود: ١٧)، وأفعل من كذا في قوله :

---

[١] الحملاوي (أحمد) شذا العرف في فن الصرف ، مكتبة إحياء التراث الإسلامي ، مكة ، ط ٤ ، ١٤١١ هـ ، ص ٧٨ .

(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى) (هود: ١٨)، فالأيات من لدن قوله (أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ) إلى قوله : (هُمُ الأَخْسَرُونَ) مبنيات على ما ذكرناه غير خارجة عن هذا المقصود، ولو ورد هنا (الخاسرون) مكان (الأخسرين) لتنافى النظم وتباين السياق ولم يتناسب .

وأما آية (النحل) فلم يقع قبلها أفعل التي للمفاضلة والتفاوت ولا ما يفهمهما، وإنما قبلها : (إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْكَاذِبُونَ) (النحل: ١٠٥، ١٠٤) ، وبعد هذا (وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ) (النحل: ١٠٧) ، وبعد هذا (وَأُوْلَئِكَ هُمْ الْغَافِلُونَ) (النحل ١٠٨) ، فتأمل هذه الفواصل واتفاقها في اسم الفاعل المجموع جمع السلامة في قوم متفقي الأحوال في كفرهم إلى أن ختم وصفهم وما قصد من ذكرهم بقوله : (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ) (النحل١٠٩)، فتناسبت الآي في السياق والفواصل ، وختمت بمثل ما به بدأت، ولم يكن ليناسب ما ورد هنا لفظ المفاضلة ، إذ ليس في الكلام ما يستدعي ذلك لا من لفظه ولا معناه ، ووضح اختصاص كل من العبارتين بمكانه ، وإن العكس لا يلائم ، والله أعلم "[1] ، فصيغة المبالغة تدل على عظم خسارتهم فهم أكثر خسارة من غيرهم فلا أحد أخسر منهم ، قال الألوسي – رحمه الله – : " (لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ) أي لا أحد أبين

---

[1] الغرناطي (أحمد بن إبراهيم الثقفي) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ،

٢ / ٦٥٠ –٦٥٢ .

أو أكثر خسرانا منهم ، فأفعل للزيادة إما في الكم أو الكيف ، وتعريف المسند بلام الجنس لإفادة الحصر ، وإن جعل هُمُ ضمير فصل أفاد تأكيد الاختصاص ، وإن جعل مبتدأ وما بعده خبره والجملة خبر أن أفاد تأكيد الحكم "[١] .

ثانيًا – نماذج من كلام النبي ﷺ:

ولو تأملنا كلام رسول الله ﷺ لوجدنا مراعاة المقال للمقام واضحا جليا فمن ذلك :

اختلاف وصاياه ﷺ للصحابة رضي الله عنهم حسب اختلاف أحوالهم ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَوْصِنِي، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «لاَ تَغْضَبْ» [٢] .

فـ" قَوْله: (لَا تغْضب) إِنَّمَا قَالَ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: لَا تغْضب، لِأَنَّهُ صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كَانَ مكاشفاً بأوضاع الْخلق فيأمرهم بِمَا هُوَ الأولى بهم، وَلَعَلَّ الرجل كَانَ غضوباً فوصاه بِتَرْكِهِ" [٣] .

---

[١] الألوسي (شهاب الدين السيد محمود) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، ٦/ ٢٣٣ .

[٢] البخاري (محمد بن إسماعيل) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، ت محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ ٨ / ٢٨

[٣] العيني (محمود بن أحمد) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، دار الفكر ، ٢٢ / ١٦٤

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلِي بِثَلَاثٍ لاَ أَدَعُهُنَّ حَتَّى أَمُوتَ: «صَوْمِ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاَةِ الضُّحَى، وَنَوْمٍ عَلَى وِتْرٍ»[١] .

"وَهَذِهِ الْوَصِيَّةُ لِأَبِي هُرَيْرَةَ وَرَدَ مَثَلُهَا لِأَبِي الدَّرْدَاءِ فِيمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَلِأَبِي ذَرٍّ فِيمَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ ... اقْتَصَرَ فِي الْوَصِيَّةِ لِلثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورِينَ عَلَى الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ لِأَنَّ الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ أَشْرَفُ الْعِبَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ وَلَمْ يَكُنِ الْمَذْكُورُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَمْوَالِ "[٢] .

بل كان ﷺ يبين حال المدعوين لمن يرسلهم لدعوتهم ، ومن ذلك ما ذكره لمعاذ – رضي الله عنه – حين بعثه إلى اليمن :فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِذَا عَرَفُوا اللهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ»[٣]

---

[١] البخاري (محمد بن إسماعيل) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، ٢ / ٥٨ .

[٢] العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ٣ / ٥٧ – ٥٨ .

(٣) البخاري (محمد بن إسماعيل) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، ، ٢ / ١٢٨ . و النيسابوري (مسلم بن الحجاج) صحيح مسلم ، ت محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ١ / ٥١ .

فأخبره ﷺ بحالهم ابتداء ، ثم أخبره بما يقول لهم في كل مقام من مقاماتهم ، فلا ينتقل من مقال إلى آخر إلا إذا انتقلوا إلى المقام الذي يناسبه .

ومن ذلك نهيه ﷺ لبعض الصحابة عن وصال الصيام ، وسماحه لآخرين بناء على اختلاف أحوالهم :

فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، قَالَ : أُخْبِرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنِّي أَقُولُ : وَاللَّهِ لَأَصُومَنَّ النَّهَارَ، وَلَأَقُومَنَّ اللَّيْلَ مَا عِشْتُ، فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي قَالَ: «فَإِنَّكَ لاَ تَسْتَطِيعُ ذَلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَقُمْ وَنَمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، وَذَلِكَ مِثْلُ صِيَامِ الدَّهْرِ»، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ»، قُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالَ: «فَصُمْ يَوْمًا وَأَفْطِرْ يَوْمًا، فَذَلِكَ صِيَامُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وَهُوَ أَفْضَلُ الصِّيَامِ»، فَقُلْتُ: إِنِّي أُطِيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟ «لاَ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ»[1] .

وعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَمْرٍو الْأَسْلَمِيَّ، سَأَلَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي رَجُلٌ أَسْرُدُ الصَّوْمَ، أَفَأَصُومُ فِي السَّفَرِ؟ قَالَ: «صُمْ إِنْ شِئْتَ، وَأَفْطِرْ إِنْ شِئْتَ»[2] .

---

(١) البخاري (محمد بن إسماعيل) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، . ٣ /٤٠ و النيسابوري (مسلم بن الحجاج) صحيح مسلم ، ٢ / ٨١٢

(٢) النيسابوري (مسلم بن الحجاج) صحيح مسلم ، ، ٢ / ٧٨٩

"وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهِ بَلْ أَقَرَّهُ عَلَيْهِ وَأَذِنَ لَهُ فِيهِ فِي السَّفَرِ فَفِي الْحَضَرِ أَوْلَى ، وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى أَنَّ حَمْزَةَ بْنَ عَمْرٍو كَانَ يُطِيقُ السَّرْدَ بِلَا ضَرَرٍ وَلَا تَفْوِيتِ حَقٍّ كَمَا قَالَ فِي الرِّوَايَةِ الَّتِي بَعْدَهَا أَجِدُ بِي قُوَّةً عَلَى الصِّيَامِ وَأَمَّا إِنْكَارُهُ صَلَّى الله عليه وسلم على بن عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ صَوْمَ الدَّهْرِ فَلِأَنَّهُ عَلِمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ سَيَضْعُفُ عَنْهُ وَهَكَذَا جَرَى فَإِنَّهُ ضَعُفَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ وَكَانَ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَبِلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْعَمَلَ الدَّائِمَ وَإِنْ قَلَّ وَيَحُثُّهُمْ عَلَيْهِ"[١] .

ثالثًا – نماذج من كلام العرب :

وكلام العرب ليس بعيدا عن ذلك ، سواء ما كان منه شعرًا أو نثرًا ، فالنماذج من كلام العرب يعجز عنها الحصر ، ومنها :

١ – ما قاله أحمد بن خلاد ، قال حدثني أبي قال : (قلت لبشار: يا أبا معاذ، إنك لتجيء بالأمر المهجّن .

قال: وما ذاك ؟ قلت : إنك تقول :

إذا ما غضبنا غضبة مضريّة

هتكنا حجاب الشمس أو مطرت دما

إذا ما أعرنا سيّدا من قبيلة ... **ذرى منبر صلًى علينا وسلّما**

ثم تقول :

---

[١] النووي (يحيى بن شرف) شرح صحيح مسلم ، ٧ / ٢٤٦

ربابة ربّة البيت ... تصبّ الخلّ فى الزيت

لها عشر دجاجات ... وديك حسن الصوت

فقال: كلّ شىء فى موضعه. وربابة هذه جارية لى، وأنا لا آكل البيض من السّوق، فربابة هذه لها عشر دجاجات وديك، فهى تجمع علىّ هذا البيض وتحظره لى، فكان هذا من قولى لها أحبّ إليها وأحسن عندها من :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

ثم قال المرزباني : ووجدت بخط محمد بن القاسم بن مهرويه، قال: حدثنى أبو المثنّى أحمد بن يعقوب ابن أخت أبى بكر الأصم البصرى، قال: قيل لبشار: إذا شئت أن تثير العجاجة أثرتها فى شعرك ثم تقول:ربابة ربة البيت ... وذكر البيتين.

قال : فقال : إنما أخاطب كلّا بما يفهم)(١) .

٢- ومنها ما أورده صاحب الأغاني حين قال : " قال الأصمعي: كنت أشهد خلف بن أبي عمرو بن العلاء وخلفًا الأحمر يأتيان بشارًا، ويسلِّمان عليه بغاية التعظيم، ثم يقولان: يا أبا معاذ، ما أحدثت ؟ فيخبرهما وينشدهما، ويسألانه ويكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر، ثم ينصرفان عنه، فأتياه يومًا فقالا له: ما هذه القصيدة التي أحدثتها في سلم

---

(١) المرزباني (محمد بن عمران) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ت محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م ، ٢٨٩

بن قتيبة؟ فقال: هي التي بلغتكما، قالا: بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب، فقال: نعم، بلغني أن سلمًا يتباصَر بالغريب؛ فأحببت أن أورد عليه بما لا يعرفه، قالا: فأنشدناها، فأنشدهما:

بَكِّرَا صَاحِبَيَّ قَبْلَ الهَجِيرِ إِنَّ ذاكَ النَّجَاحَ فِي التَّبْكِيرِ

حتى فرغ منها، فقال له خلفٌ: لو قلت: يا أبا معاذ مكان" إن ذاك النجاح في التبكير" :"بكِّرَا فالنجاح في التبكير "كان أحسن.

فقال بشار بنَيتُها أعرابيةً وحشيةً، فقلت: إن ذاك النجاح في التبكير، كما يقول الأعراب البدويون، ولو قلت: بكِّرا فالنجاح في التبكير، لكان هذا من كلام المولَّدين، ولا يشبه ذاك الكلام، ولا يدخل في معنى القصيدة، فقام خلف فقبل بين عينيه ".[١]

٣- ومن ذلك ما أورده صاحب المثل السائر حين تحدث عن شعر أبي العتاهية فقال : " ومن ذلك قصيدته التي يمدح فيها المهديّ، ويشبب فيها بجاريته "عتب":

ألا ما لسيدتي ما لها ... تُدِلُّ فاحمل إدلالها

ألا إن جارية للإما ... م قد سكن الحسن سربالها

لقد أتعب اللّه قلبي بها ... وأتعب في اللوم عذَّالها

كأن بعيني في حيثما ... سلكت من الأرض تِمثالها

---

[١] الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين) الأغاني ، ت الدكتور إحسان عباس وآخران ، دار صادر بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م ، ٣ / ١٣٢

فلما وصل إلى المديح قال من جملته:

أتته الخلافة منقادةً ... إليه تجرر أذيالها

فلم تك تصلح إلا له ... ولم يك يصلح إلا لها

ولو رامها أحدٌ غيرك ... لزلزلت الأرض زلزالها

ولو لم تطعه بنات القلوب ... لما قبل اللّه أعمالها

ويحكى أن بشارًا كان شاهدًا عند إنشاد أبي العتاهية هذه الأبيات، فلمَّا سمع المديح قال: انظروا إلى أمير المؤمنين، هل طار عن أعواده؟ يريد: هل زال عن سريره طربًا بهذا المديح؟

ولعمري إن الأمر كما قال بشار، وخير القول ما أسكر السامع حتى ينقله عن حالته، سواء كان في مديح أو غيره" [1] .

ويقول ابن خلدون : " فإنّ كلامهم – يعني العرب – واسع ولكلّ مقام عندهم مقال يختصّ به بعد كمال الإعراب والإبانة ، ألا ترى أنّ قولهم (زيد جاءني) مغاير لقولهم (جاءني زيد) من قِبَلِ أنّ المتقدّم منهما هو الأهمّ عند المتكلّم فمن قال: جاءني زيد أفاد أنّ اهتمامه بالمجيء قبل الشّخص المسند إليه، ومن قال: زيد جاءني أفاد أنّ اهتمامه بالشّخص قبل المجيء المسند.

---

[1] ابن الأثير (نصر الله بن محمد) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ١ / ١٧٧

وكذا التّعبير عن أجزاء الجملة بما يناسب المقام من موصول أو مبهم أو معرفة.

وكذا تأكيد الإسناد على الجملة كقولهم: زيد قائم وإنّ زيدا قائم وإنّ زيدا لقائم متغايرة كلّها في الدّلالة وإن استوت من طريق الإعراب فإنّ الأوّل العاري عن التّأكيد إنّما يفيد الخالي الذّهن والثّاني المؤكّد بأنّ يفيد المتردّد والثّالث يفيد المنكر فهي مختلفة ، وكذلك تقول: جاءني الرّجل ثمّ تقول مكانه بعينه جاءني رجل إذا قصدت بذلك التّنكير تعظيمه وأنّه رجل لا يعادله أحد من الرّجال"[١].

وقد يستدعي المقام تقديمًا وتأخيرًا في الكلام " فاستعمال كلمة " يرحم " في مقام تشميت العاطس " يرحمك الله " البدء بالفعل ، وفي مقام الترحُّم بعد الموت : " الله يرحمه " البدء بالاسم ، فالأولى تعني : طلب الرحمة في الدنيا ، والثانية تعني : طلب الرحمة في الآخرة ، وقد دلَّ على هذا سياقُ الموقف إلى جانب السياق اللغوي المتمثِّل في التقديم والتأخير"[٢] .

ولعل هذه الإشارات السريعة كافية لأن توضح لنا مراعاة المقال للمقام عند العرب في جل كلامهم .

---

[١] ابن خلدون (عبد الرحمن) تاريخ ابن خلدون ١ / ٧٦٠

[٢] عمر (أحمد مختار) علم الدلالة ، عالم الكتب ، ط ٥ ١٩٩٨ م ، ص٧١

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبعد :

فإن لكل مقام أسلوبه الخاص الذي يناسبه ، ويستدعي تراكيبه القائمة على ارتباط النحو والمعاني في شكل جمل ، والمقام هو ذلك الموقف الذي يتطلب نوعا من الألفاظ تجاورت بطريقة معينة كي تؤدي المعنى المراد، كما تساهم في ذلك العلاقات والأحداث والظروف الاجتماعية التي ترافق الموقف وقت أداء المقال، ولذا يعتبر مركزا من مراكز علم الدلالة الوصفية، ويعتمد المعنى الدلالي على هاتين الدعامتين (المقام والمقال) اعتمادا كبيرا لما بينهما من علاقة توضح المقصود منهما. والمعنى المقالي يتكون من معنيين : المعنى السياقي، والمعنى الأساسي، أما المعنى المقامي، فهو الذي يتكون من ظروف أداء المقال، وتلعب الاستعارة التمثيلية أحيانا دورا في المقام فقد يستعار لمقام ما مقال مشابه ذاع واشتهر كالأمثال والحكم التي تغني المتكلم عن تركيب مقال جديد، فهو يستخدمها عند وجود عنصر المشابهة بين الموقفين، وبذلك يصير المقال القديم جزءا من المقام الجديد(١) .

إذا فهناك ركنٌ مهم من أركان البلاغة في كلام العرب ، وهو ما يسمى بمناسبة المقام وهو جوهر البلاغة ، فإذا أردنا أن نصف الكلام بالبلاغة فأهم ركنٍ في الكلام البليغ أن يكون الكلام مناسباً للمقام ، وهذا

---

(١) سعدي (مليكة) الدلالة وجدل اللفظ والمعنى ، مجلة عود الند ثقافية شهرية إلكترونية ، العدد ٦١

http://www.oudnad.net/spip.php?article١٢٩٨#

هو معنى الكلمة المشهورة التي تُضرب مضرب المَثَل : لكلِّ مقامٍ مقال ، فالبلاغة ليست تدبيج العبارات أو المجيء بكلماتٍ فخمة قد لا تتناسب مع الشخص المخاطب ، وقد لا تتناسب مع المعنى الذي يُتحدث عنه ، لأن الكلام البليغ المراد منه الوصول إلى الغاية المرادة من الكلام ، ولا يمكن الوصول إلى تلك الغاية ما لم يكن الكلام مناسبا للمقام ، ومراعاة المقال للقام هو لب وجوهر البلاغة العربية ، وعماد دراستها قديما وحديثا ، ولا يقتصر ذلك على علم معين من علوم اللغة العربية ، بل مراعاة المقام موجودة عند العرب في كل مستويات اللغة التي هي مدار دراسة البلاغة العربية ، كما قرر ذلك الإمام عبد القاهر في نظرية النظم في كتابه دلائل الإعجاز.

وهذا جهد المقل ، وحسبي أنني قد حاولت أن أجعل لقدمي موطئا مع من تنافس في هذا الميدان الرحب – ميدان البلاغة العربية – و أسأل الله عز وجل أن يجعل العمل خالصا لوجهه الكريم ، وأن ينفعني به في الدارين ، إنه ولي ذلك والقادر عليه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فهرس المصادر والمراجع :

١	ابن الأثير (علي بن أبي الكرم الشيباني) الكامل في التاريخ ، ت أبي الفداء عبد الله القاضي ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٧ – ١٩٨٧ م
٢	ابن الأثير (نصر الله بن محمد) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، ت محمد محيي الدين عبد الحميد ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي ، مصر
٣	الإسكافي (محمد بن عبد الله الأصبهاني) ، درة التنزيل وغرة التأويل ، ت محمد مصطفى آيدين ، منشورات جامعة أم القرى ، السعودية ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م .
٤	الأصفهاني (أبو الفرج علي بن الحسين) الأغاني ، ت الدكتور إحسان عباس وآخران ، دار صادر بيروت ، ط ٣ ، ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م
٥	الألوسي (شهاب الدين السيد محمود) ، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني ، ت علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م .
٦	الأنصاري (زكريا) ، فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن ، ت محمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٣ هـ – ١٩٨٣ م .
٧	البخاري (محمد بن إسماعيل) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، ت محمد زهير الناصر ، دار طوق النجاة ، ط ١ ، ١٤٢٢ هـ

٨	بريغش (محمد حسن) الأدب الإسلامي أصوله وسماته ، دار البشر ، عمان ، الأردن ، ط ١ ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م .
٩	البلخي (مقاتل بن سليمان) الوجوه والنظائر في القرآن العظيم ، ت حاتم صالح الضامن ، مركز جمعية الماجد للثقافة والتراث ، دبي ، ط ١ ، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م .
١٠	البيضاوي (عبد الله بن عمر) أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، المعروف بتفسير البيضاوي ، ت محمد عبد الرحمن المرعشلي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط ١ ، بدون تاريخ .
١١	ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام) مجموع الفتاوى ، جمع عبد الرحمن بن محمد القاسم ، الطبعة الأولى ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م
١٢	الجاحظ (عمرو بن بحر) البيان والتبيين ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م .
١٣	الجرجاني (عبد القاهر بن عبد الرحمن) ، دلائل الإعجاز ، ت محمود محمد شاكر ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، ط ٥ ، ٢٠٠٤ م
١٤	ابن جماعة (بدر الدين) ،كشف المعاني في المتشابه من المثاني ، ت عبد الجواد خلف ، دار الوفاء للنشر والتوزيع ، المنصورة ، ط ١ ، ١٤١٠ - ١٩٩٠ م .
١٥	ابن جني (عثمان) الخصائص ، ت محمد علي النجار ، دار الكتب المصرية ، ط بدون ، بدون تاريخ .
١٦	الجوهري (إسماعيل بن حماد) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، ت أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط ٤ ، ١٩٩٠ م .

١٧	حسان (تمام) الأصول دراسة ابستيمولوجية للفكر اللغوي عند العرب ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠ م
١٨	حسان (تمام) ، اللغة العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء المغرب ، ط بدون ، ١٩٩٤ م .
١٩	الحملاوي (أحمد) شذا العرف في فن الصرف ، مكتبة إحياء التراث الإسلامي ، مكة ، ط ٤ ، ١٤١١ هـ .
٢٠	الحميري (عبد الواسع) في آفاق الكلام وتكلم النص ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٣١ هـ ٢٠١٠ م .
٢١	الحنفي (عبد المنعم) معجم مصطلحات الصوفية ، دار المسيرة ، بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م
٢٢	أبو حيان (محمد بن يوسف) ، البحر المحيط ، ت عادل أحمد عبد الموجود وآخرون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤١٣ هـ – ١٩٩٣ م .
٢٣	ابن خلدون (عبد الرحمن) تاريخ ابن خلدون ،ت خليل شحادة ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠١ هـ ١٩٨١ م
٢٤	الدسوقي (محمد بن محمد عرفة) حاشية الدسوقي على مختصر المعاني ، مكتبة رشيدية
٢٥	الزجاج (إبراهيم بن السري) معاني القرآن وإعرابه ، ت عبد الجليل عبده شلبي ، عالم الكتب ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٠٨ – ١٩٨٨ م .
٢٦	الزركشي (محمد بن عبد الله) البرهان في علوم القرآن ، ت محمد أبو الفضل إبراهيم ، مكتبة دار التراث ، القاهرة ، ط ٣ ، ١٤٠٤ هـ – ١٩٨٤ م .

٢٧	الزمخشري (محمود بن عمر) ، تفسير الكشاف ، ت خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة بيروت ، ط ٣ ، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
٢٨	سطوف (عزوز) بلاغة مقام القص القرآني سورة يوسف أنموذجا ، منشورات جامعة منتوري ، الجزائر ، السنة الجامعية ٢٠٠٩ - ٢٠١٠ م ، ط بدون .
٢٩	السعدي (عبد الرحمن بن ناصر) ، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ط ١، ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
٣٠	السكاكي (يوسف بن أبي بكر) مفتاح العلوم ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ٢ ، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٧ م
٣١	الشثري (صالح بن عبد الله) ، المتشابه اللفظي في القرآن الكريم وأسراره البلاغية ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، ط بدون ، ١٤٢٥ هـ .
٣٢	الشعراوي (محمد متولي) تفسير الشعراوي ، مطابع دار أخبار اليوم ، ط بدون ، بدون تاريخ .
٣٣	الشوكاني (محمد بن علي) ، فتح القدير ، ت يوسف الغوش ، دار المعرفة ، بيروت ، ط ٤ ، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م .
٣٤	صمّود (حمادي) التفكير البلاغي عند العرب أسسه وتطوره إلى القرن السادس ، منشورات كلية الآداب في جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية ، منوبة ، تونس ، ط ٢ ، ١٩٩٤ م .
٣٥	العسقلاني (أحمد بن علي بن حجر) فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، دار الفكر ، بيروت ، ط . ١ ١٩٩٣ م ١٤١٤ هـ

٣٦	عمر (أحمد مختار) علم الدلالة ، عالم الكتب ، ط ٥ ، ١٩٩٨ م
٣٧	العيني (محمود بن أحمد) عمدة القارئ شرح صحيح البخاري ، دار الفكر
٣٨	الغرناطي (أحمد بن إبراهيم الثقفي) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل ،ت سعيد الفلاح ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،ط ١، ١٤٠٣ هـ -١٩٨٣م.
٣٩	الفراهيدي (الخليل بن أحمد) ، كتاب العين ، تـ عبد الحميد هنداوي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ١ ، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م
٤٠	الفيروز أبادي (محمد بن يعقوب) القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، ط ٨ ، ٢٠٠٥ م
٤١	القزويني (محمد بن عبد الرحمن بن عمر) الإيضاح في علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٣ م -١٤٢٤ هـ
٤٢	قطب (سيد) في ظلال القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط ١٥ ، ١٤٠٨ – ١٩٨٨ م.
٤٣	ابن القيم (محمد بن أبي بكر) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، ت عبد العزيز بن ناصر الجليل ، دار طيبة ، الرياض ، ط ١ ، ١٤٢٣ هـ .
٤٤	الكاشاني (عبد الرزاق) معجم اصطلاحات الصوفية ، تحقيق عبد العال شاهين ، دار المنار ، القاهرة ، ط . ١ ، ١٤١٣ هـ ١٩٩٢ م
٤٥	ابن كثير (إسماعيل بن عمر) ، تفسير القرآن العظيم ، ت سامي محمد السلامة ، دار طيبة الرياض ، ط ٢ ، ١٤٢٠ هـ -١٩٩٩م.
٤٦	الكرماني (محمود بن حمزة) ، أسرار التكرار في القرآن ، المسمى: البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان ، ت

	عبد القادر أحمد عطا ، دار الفضيلة ، ط بدون ، بدون تاريخ .
٤٧	المرزباني (محمد بن عمران) الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء ، ت محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية بيروت ، ط ١ ، ١٤١٥ هـ ١٩٩٥ م
٤٨	المراغي (أحمد مصطفى) علوم البلاغة البيان والمعاني والبديع ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط ٣ ، ١٤١٤ هـ ١٩٩٣ م .
٤٩	مطلوب (أحمد)معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، مطبعة المجمع العلمي العراقي ، ط بدون ، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .
٥٠	ابن منظور (محمد بن مكرم) لسان العرب ، دار صادر ، بيروت ، ط بدون ، بدون تاريخ.
٥١	الموسى (نهاد) نظرية النحو العربي في ضوء مناهج النظر اللغوي الحديث ، الموسوعة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٠ م
٥٢	النووي (يحيى بن شرف) شرح صحيح مسلم ، دار القلم بيروت ، ط . ٣
٥٣	النيسابوري (مسلم بن الحجاج) صحيح مسلم ، ت محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .
٥٤	الهاشمي (السيد أحمد) جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، ت يوسف الصميلي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط ١ ، ١٩٩٩ م .
٥٥	ابن هشام (عبد الله بن يوسف بن أحمد) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ، ت محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية بيروت ، ط بدون ، بدون تاريخ .

الدوريات :

٦	الدوري (محمد ياس خضر) البيان القرآني بين المقام والمقال ، مجلة جامعة تكريت للعلوم الإنسانية ، المجلد ٢٠ العدد ٧ ، تموز ٢٠١٣ م .

مواقع الشبكة العنكبوتية :

٥٧	بلحبيب (رشيد) أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى ، موقع جامعة أم القرى على الشبكة العنكبوتية . http://uqu.edu.sa/page/ar/١٦٥٨٠٦
٥٨	التخيفي (عبد المحسن) ، دلالة السياق وأثرها في فهم الحديث ، الإنترنت ، الشبكة الفقهية ، الملتقى الفقهي ، على الرابط التالي : http://www.feqhweb.com/vb/t٤٧٤٢.html
٥٩	الحسني (علي شكر داود) آيات المقام في القرآن الكريم دراسة تحليلية ، موقع الجامعة الإسلامية في العراق على الإنترنت . http://aliraqia.edu.iq/articles-and-researchs/٢٨٣٠-٠
١٠	سعدي (مليكة) الدلالة وجدل اللفظ والمعنى ، مجلة عود الند ثقافية شهرية إلكترونية ،العدد ٦١ . http://www.oudnad.net/spip.php?article٨٥

محتويات البحث

م	الموضوع
١	المقدمة
٢	المبحث الأول : تعريف المقال
٣	المبحث الثاني : تعريف المقام
٤	المبحث الثالث : عنصرا المقام
٥	المبحث الرابع : نوعا السياق
٦	المبحث الخامس : مراعاة المقامات في كل مستويات اللغة
٧	المبحث السادس : نماذج من مراعاة المقا للمقام
٨	الخاتمة
٩	فهرس المصادر والمراجع
١٠	محتويات البحث